

روايات عبي

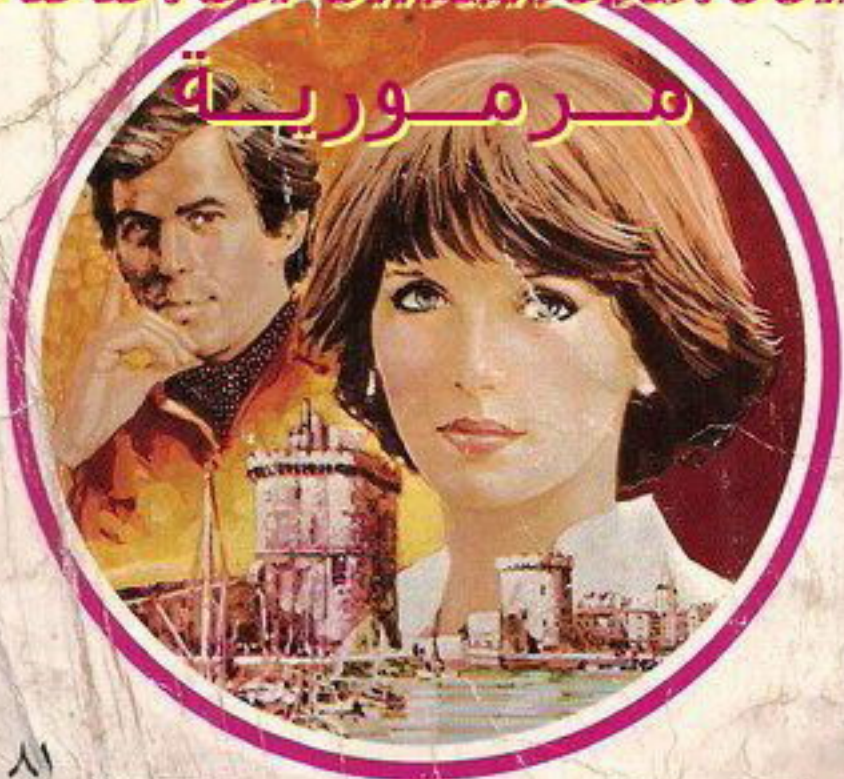


ساره كريفتن

المنبوذة

www.elromancia.com

مرمورية



المنبوذة

أي انسان يستطيع الهرب من قدره؟ موروينا ماتت والدتها وهي في الثامنة من عمرها. وفي الثامنة عشرة قتل والدها وشقيقها في حادث سيارة. فجأة أصبحت وحيدة، يتيمة ومنبوذة من اقاربها الذين استولوا على جميع الاملاك. البيت الذي ترعرعت فيه طردت منه لتقف وحدها لوجه امام عاصفة الزمان. الى اين تذهب وهي لا تملك سوى عنوان رجل عبور عرفته امها في صباها. هل تذهب اليه؟ ولكنها لا تعرفه! تحتاج الى ملجأ، الى سقف يقيها امطار التشرد ورياح الضياع، وفي قصر دومنيك كان نوع اخر من العذاب في انتظارها. الكره والعدا. رنلامبالاة صفات ثلاث استقبلت موروينا في قصر الاسرار. فهل تدخل ام ترحل هائمة على وجهها؟

السودان ٨٠٠ م	اليمن ٩ د	الكويت ٧٥٠ ف	لبنان ١٠٠ د
U.K. £ 1	تونس ١ د	الامارات ١٠ د	سورية ٨٠ د
France F 10	ليبيا ٧٠٠ د	البحرين ١٠ د	الأردن ٦٠٠ ف
Greece Drs 150	المغرب ٨ د	قطر ١٠ د	العراق ٥٠٠ ف
Cyprus P 1	مصر ٨٠٠ م	عمان ١ د	السعودية ٩ د

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
HIGH TIDE AT MIDNIGHT

© SARA CRAVEN 1978
© 1983 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف: ساره كريفن
جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة لهارلكوين
(قبرص) المحدودة

١ - رياح الواقع

«أريد أن اوضح امرأ واحداً منذ البداية . لا يمكنها البقاء هنا» .
جاء صوت الليدي كير سلاك قوياً واضحاً من خلال الباب المغلق
لغرفة الجلوس ، مستمراً موروثاً في مكانها ويدها ممتدة لتدق الباب .
تدافعت الافكار الى رأسها وهي تستعيد كلمات ابنة العم باتريسيا
ورأت أن من الأفضل لها ان تستدير وتبتعد متظاهرة بأنها لم تسمع
شيئاً ومعللة نفسها بأن مسترقي السمع عادة ، لا يسمعون شيئاً حسناً
عن انفسهم . لكنها عرفت في الوقت نفسه ، انه ليس في مقدور شيء
ازاحتها عن مكانها خطوة واحدة . وسيكون مبعث راحة لها ان
تكتشف حقيقة مشاعر ابنة عمها نحوها على عكس معاملتها اللطيفة
لها حتى الآن . قالت فانيسا بصوت خفيض ولكن نافذ الصبر :

المراسلات
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

«أوه، أماء. ليس من السهل ان تلقي بها الى الشارع. انها لا تملك اي تدريب او مؤهلات. وتعرفين مثلي انها ضيعة وقتها في المدرسة. ما الذي ستستطيع فعله على وجه الأرض؟».

أجابت الليدي كير سلاك ببرود:

«ليس ذلك خطأنا. هي التي اضاعت الفرص التي اتبحت لها، فليس من حقها الشكوى الآن اذا لم يتحملها احد بعد. كان على ابيها وهو يدرك مدى تعقد قضية الميراث، ان يترك لها احتياطاً من المال وهو ما يزال حياً».

«ربما انت على حق، لكن كان من المستحيل ان يتنبأ بأنه ومارتين سيقتلان معاً في الحادثة نفسها. كان مارتين هو الورث، لذا كان هو من سيعتني بأمر موروينا».

احست موروينا وهي تقف في الصالة جامدة، بطعنة الم من هذه الكلمات، لكن فانيسا كانت على حق. لم يكن بإمكان احد التنبؤ حتى قبل اسابيع قليلة فقط، بأنها ستبقى وحيدة تماماً في هذا العالم قبل ان يحل الظلام في ذلك اليوم الخريفي المشرق. لقد قتل والدها وشقيقها معاً في حادث اصطدام مع شاحنة، تعطلت فراملها فجأة على سفح تل شديد الانحدار خارج القرية.

كانت تعرف بالطبع انها لا تستحق الارث، وطالما اسفست هي ومارتين من الاصرار في هذا العصر على ان تكون السيادة للذكور، وان تنحدر رتبة الوراثة والملكية من خلاهم فقط. لكنها لم تشغل نفسها بأمر المستقبل وهي في الثامنة عشرة من عمرها. كانت تجد في ظل ابيها وشقيقها مارتين الطمأنينة دائماً. الى ان حل ذلك اليوم، حين ارتها ريع الواقع كم كان هشاً ملجأها. كان المحامون عطوفين جداً. شرحوا لها كل شيء بدقة وتفصيل، ومنه، ان ما ورثه ابن

العم جيوفري، زوج ابنة العم باتريسيا، لم يكن بالمبلغ الكبير. وعلمت ولأول مرة ان والدها كان مضارباً في البورصة، وعانى من خسائر كبيرة. غير ان السيد فرنشارد كان يأمل في تعويض هذه الخسائر لاحقاً، اذ كان يثق بفطنته في مجال عمله. لكن القدر لم يمهل طويلاً. خلال الاسابيع التي تلت حادثة ابيها واخيها. شعرت موروينا بأنها تعيش في وسط غريب عنها. وتضاعف احساسها هذا مع وصول ابن العم جيوفري وزوجته المستبدة باتريسيا.

عرفت ان باتريسيا توقع ان تجد نفسها بين عشية وضحاها امرأة ثرية، ورغم انها اصبحت (الليدي كير سلاك) واحتلت المنزل، الا ان ذلك كان اقل مما كانت تأمل فيه. لكن موروينا خمنت بذلك، ان حصولها على المنزل، وهو بيت ثمين من عهد الملكة آن، سيمنحها بعض السلوى. غمرت الليدي كير سلاك، موروينا بحنانها في الأيام الأولى، لكن مع الوقت اتخذ سلوكها يتغير. وهذا لا يعني انها كانتا على مودة في السابق. فموروينا لم تكن على وفاق حتى مع فانيسا، مع ان والدها كان قد اصر على ان تدخل المدرسة نفسها معاً، وانفق مبلغاً كبيراً على دراستهما. ولقد استغربت منذ ذلك الوقت كون فانيسا قد حققت عليها لهذا السبب، أو لأنها كانت متفوقة عليها في الدروس. ومهما يكن السبب فعدوانية فانيسا اصبحت واضحة مع الزمن، ولم تبد الا القليل من اللين نحوها منذ وصولها الى كاريو بريوري. بل على العكس، شعرت ان فانيسا تتأمل بفرح التحول الذي حدث في حياتهم. اما هي فقد اصبحت اكثر حذراً في حديثها وسلوكها، متأكدة دائماً من ان السيدة ابرشو، مدبرة المنزل قد ذهبت الى الليدي كير سلاك لتتلقى تعليماتها، ومتذكراً ايضاً ان تدق الباب قبل ان تدخل الغرف حيث تكون العائلة مجتمعة. فجأة تحولت الى

غريبة في بيتها. كانت الليدي كير سلاك تكرر القول بحدة:
«لا ادري لم اصبحت شديدة الاهتمام بها يا فانيسا. انت لم تهتمي
بها في يوم من الايام، بشكل خاص».

«انا لست مهتمة بها حتى الآن. لكن علينا ان نهتم بما سيقوله
الناس، خاصة ان اباهما ومارتين كانا محبوبين بين اهالي المنطقة. علينا
ان لا نبدأ السير بخطوة خاطئة».

قالت الليدي كير سلاك متنهدة:

«بالطبع لا. يا لها من مشكلة، لم اكن اعرف ان هذه الطفلة
الخغيرة ستبقى تتسكع هنا بدون هدف. لم يكن هناك حديث عن
مدرسة للرسم؟».

«هناك دائماً حديث عن شيء ما يشغل موروينا. لكن انت على
صواب، اظن ان من المفروض ان تلتحق هذا الشهر بمدرسة
لينوكس كريستي في كاركاسون، اذا ما قبلها هذا، خاصة بعد ان
اصبحت مسألة الأجور صعبة بالنسبة اليها».

اطبقت اصابع موروينا المرتعشة، على الرسالة التي دستها في
جيب سترتها قبل اقل من نصف ساعة. فقد لمحت من نافذة غرفتها،
ساعي البريد مقبلاً، وانتابها هاجس بما كان يحمله لها. ونزلت
مسرعة اليه. فالرسائل تؤخذ جميعها الى باتريسيا قبل توزيعها على
اصحابها. وموروينا عرفت ان الرسالة تحمل طابعاً فرنسياً ستثير
فضول ابنة عمها بدون شك.

ها قد تحقق هاجسها بالشر. حدثت نفسها بياس. يبدو ان
لفانيسا القدرة على قراءة الغيب. كانت رسالة لينوكس كريستي
قاسية الوقع عليها رغم رقتها، جاء فيها ان الأعمال التي عرضتها
عليه في مقابلتهما في لندن، كانت غير كافية لمنحها مقعداً مجانيّاً في

مدرسته. لكنه في اي حال، سيعود الى لندن الربيع المقبل وبمقدورها
ان تتصل به وتطلعه على اي عمل جديد تكون قد انجزته. وربما
سيقرر موقفه منها من جديد.

كانت خيبة اخرى لها. وادركت ان عرضه هذا ليس سوى مرهم
وضع على كبريائها الجريح. ورغم انها ورثت بعضاً من موهبة امها
المتوفاة، وانها تلميذة مجتهدة في المدرسة، الا انها تشك في قدرتها على
المواصلة في عالم الفن الذي يعج بالمنافسة الشرسة. والياس هو الذي
دفعها الى مناشدة لينوكس كريستي للحصول على مقعد مجاني في
مدرسته. ولم تذكر اسم امها له، اذ بدا ذلك عديم الفائدة. لقد مات
لاورا كير سلاك منذ اكثر من عشرة اعوام، وهي لم ترسم الا القليل
بعد ان انجبت اطفالها، بالاضافة الى ان اعمالها كانت تنتمي الى
الطراز القديم.

قالت باتريسيا بما فيه الكفاية عن تلك الأعمال حالما وصلت الى
كاريو بريوري. وتكاد موروينا تكون على يقين، من ان رسومات
امها المعلقة في ارجاء البيت، سترمى قريباً في احد الاقبية لتحل محلها
لوحات من غاليري في لندن ترتاده باتريسيا. تمتت موروينا ان تكون
قد تركت بريوري قبل ان يحدث ذلك. لم يعد بقاؤها مرغوباً فيه بأي
حال. وهذا ما جعل ألمها مضاعفاً حين سمعت الآخرين يتناقشون في
امرها وكأنها عالة عليهم. ادركت دائماً ان عليها العثور على عمل ما،
لهذا كانت في طريقها لتسأل بذل، ابنة العم باتريسيا فيما اذا كانت
هناك اية امكانية للعمل في ذلك الغاليري. لكنها وفرت على نفسها
موقف الاستجداء هذا. كانت فانيسا التي تتكلم ثانية:

«وهل انت متأكدة انها تتسكع هنا بدون هدف؟ كانت لا تفارق
غاي قبل ان يحدث ما حدث. ربما انها تأمل في احياء علاقتها به

ثانية».

اطلقت ام غاي ضحكة عالية وهي تقول:

«لا اظن انها ساذجة الى هذا الحد. ربما اهتم بها غاي حين كان روبرت ومارتين احياء. لكن الظروف تبدلت الآن كثيراً. غاي ليس غيباً. انها فتاة جميلة، انا اقر بذلك، اما اذا كانت تأمل منه في شيء اكثر من متعة عابرة فاخشى ان تصاب بخيبة امل. يستطيع غاي ان يجد لنفسه من هي افضل من ابنة عم معدمة الحال».

قالت فانيسا بنبرة ساخرة:

«اماه...».

لكن مورينا لم تنتظر لتسمع المزيد. استدارت واسرعت الى غرفتها عبر الصالة المفروشة بسجاد ثمين.

منذ الاسابيع القليلة الماضية، اصبحت هذه الغرفة مأواها. انها غرفة الجلوس الصغيرة التي كانت تخص امها. وهي من الأماكن القليلة في البيت التي لم تمتد يد باتريسيا اليها بالتغيير بعد. اغلقت مورينا الباب وراءها والقت بنفسها على المقعد الطويل، ثم اطلقت دموعها الغزيرة.

ها هي الآن تعاني الأسى والذل والغبط معاً، وهالها التفكير انه ما كان هناك الا القليل حتى تنجرف في حب غاي. لم يكونا مهتمين ببعضهما حين كانا صغيرين. وبعد اعوام التقيا في احدى الحفلات في الصيف الماضي، وتعرفا على بعضهما بصعوبة، لكن سرعان ما اخذتها العاطفة، او هذا ما ظنته هي. وعليها الآن ان تعترف بأنها هي التي افتننت بغاي، اما هو فكان يأمل في شيء اخر. عضت اطراف اصابعها. ها هي الأمور اخذت تتكشف، انها لم تر غاي منذ وفاة ابنيها واخيها الا مرات قليلة. انه منهمك في اشغاله ولا يأتي الى

بريوري الا في نهايات الاسبوع، لكنه حتى في هذه المرات لم يبد اهتماماً كبيراً بها. كانت تعلل عدم اندفاعه نحوها بأنه احترام منه لحزنها. لكن الحقيقة ظهرت الآن، وهي انه لم يعد هناك شيء يأمل في كسبه منها.

كانت تستغرب احياناً، لماذا كان غاي يسحب نفسه منها وهما في ذروة العاطفة، ألقدرته على كبح جماح نفسه ام لنفوره منها؟ ومهما كان السبب فقد كان كافياً لأن يقيم حاجزاً بينهما طيلة الصيف. وغاي موضوع خلافها مع اخيها. فمارتين لا يميل الى غاي ولا يحبذ سلوكه في السخريه من كل من هو خارج حلقة الجذابة. والآن عليها الاعتراف بأن مارتين لم يكن مجرد اخ صارم، بل كان اكثر ذكاء مما تصورته. ان مما دفعه لابعادها عن طريق غاي هو قلقه عليها. انها على يقين بمدى جمالها وجاذبيتها بدون غرور، وان هناك قلة ممن يستطيعون مقاومة اغراء شعرها الحريري الاصفر الذي يتوج رأسها في عقدة رخوة، وعيونها الرمادية الواسعة بأهدابها السوداء. وظنت ان هذا ما اوقع غاي في هواها. ولم يخطر في بالها انه كان لابن عمها هدف خفي آخر.

«يا لي من غيبة» همست بصوت مسموع وهي تضغط بيديها المضمومتين على عينيها الدامعتين. ثم اردفت «يا لي من حمقاء». اخيراً تمددت هادئة، تنهد بين حين واخر. شعرت بانها انهكت جسدياً ونفسياً، وجرحت في اعماقها ايضاً.

ستترك بريوري ويسرعة. هذا ما قررته. لكن الى اين؟ حتى مدرسة الرسم التي كانت تبدو ملاذاً محتملاً، قد سلبت منها. والبقية الباقية من كبرياتها تمنعها من سؤال باتريسيا عن اي عون. جلست في مكانها ضجرة. وابتعدت عن وجهها خصلات شعرها المتهدلة،

بينما تحولت نظراتها الحزينة في انحاء الغرفة حتى استقرت مع وخزة الم على بعض قطع الاثريات التي اختارتها امها لهذه الغرفة حين جاءت الى بريوري لأول مرة عروساً. وعلى الموقد المرمي الأبيض علقت محاولة لاورا كير سلاك الوحيدة في رسم صورة شخصية لنفسها قبل وفاتها بسنوات قليلة. توقفت نظراتها عندها، الوجه الصافي، العينان المرحتان، الفم المدور والمنحرف قليلاً بظرف. ثم انتقلت الى مجموعة المناظر الطبيعية على الجدار الآخر. هنا تبدو روح لاورا كير سلاك حاضرة تماماً. كانت تطلق على هذه الرسوم مجموعة تريفينون. وهي مشاهد رسمتها امها عن المكان الذي قضت فيه صباها. وبالرغم من انها ولدت وعاشت سنواتها الأولى في لندن، لكن اندلاع الحرب العالمية الثانية دفع والديها الى البحث عن مكان آمن لها. وهكذا سافرت لاورا في اول شبائها الى كورنوال لتمكث عند بعض الأقرباء. وعندما علمت ان والديها قد قتل في غارة جوية اصابتهم، ظلت هي هناك ولم تعد الى لندن بعد ذلك ابداً.

نهضت موروينا وسارت لكي تتأمل الصور عن قرب. تبدو هذه المجموعة من بين جميع رسومات امها، مشبعة بعنصر شؤم غامض. كانت موروينا وهي صغيرة، تحلق في البيت الكبير الداكن اللون، القائم على قمة المنحدر الصخري، بأبراجه ومداخنه الطويلة، وتستحضر في خيالها اليافع شخصية كاميلوت في قصة تريستان وايزولت من خلال تلك الصخور الكثيرة. وكانت امها تضحك من خيالاتها تلك وتقول ان تريفينون هي موطن عمال المناجم، وليست موطناً للفرسان والسيدات الاسطوريات. عرفت موروينا ان الشاطئ هناك قد تحول الى مرمى لنفايات المناجم، وان الأبنية والمداخن المتهدمة ما تزال باقية كشواهد على عصر مزدهر

غابر. قالت امها ان تريفينون قامت في مرحلة الازدهار تلك. وحين تعود موروينا بذاكرتها الى الورا، تجد ان امها لم تقل الشيء الكثير عن حياتها في كورنوال. كانت تبدو سعيدة هناك، او هذا ما استنتجته من احاديثها. الى جانب هذا فإن اسمها كورنوالي عريق، اختارته امها باصرار بعد ان عارضه الأب تحسباً من اثاره ذكريات حزينة، ووصف زوجته بانها «رومانسية». رغم انه خضع في النهاية لارادتها كعادته دائماً. واستعمل العبارة نفسها كما تتذكر موروينا، حين تتأمل مجموعة تريفينون من اللوحات: البيت فوق قمة المنحدر، المنجم المهجور، القرية الصغيرة في مرفأ بورت فينور، والساحل بصخوره الدكناء الشائخة كأنها حراس من الغرائب تقاوم هجوم الأمواج العنيفة.

استعادت موروينا وجه امها، وهي تخاطب زوجها، وكأنها الباردة:

«لماذا تقول هذا؟ لم اكن ارسم مجرد مكان. كنت ارسم شبابي وكل ما عرفته من سلام وطمأنينة وحب».

ثم نهضت وسارت اليه واحاطته بذراعها واراحت خدها على يده، وهي تقول له:

«اعرف انك على حق، لكن دعني لأوهامي».

حين اعادت موروينا تلك الكلمات مع نفسها ثانية، انتبأها رعشة خفيفة، وفكرت بحزن ان تلك الكلمات ما هي الا نقوش على ضريح آمالها. ومن ثم جدت في مكانها حين سمعت وقع خطوات قادمة عبر الممر. استدارت حين انفتح الباب ودخلت الليدي كير سلاك، وهتفت بشيء من الحدة:

«اوه انت هنا يا موروينا. لقد بحثت عنك في كل ارجاء البيت،

كنت اتساءل فيما اذا كنت راغبة في الانضمام اليها للغداء».

سكنت مترددة للحظة ثم اردفت:

«اتصل غاي بالهاتف قبل قليل وقال انه سيجلب معه صديقة وفكرنا...».

توقفت واخذت تحلق بوجه موروينا بترقب.

عضت موروينا شفتها. اذن سيجلب غاي معه آخر حبيباته للغداء، وامه تريد ان تعرف ماذا سيكون رد فعلها. هل ستقبل الامر بدون اهتمام، ام ستغضب وتثور. انتابها الغيظ، لكنها قالت متظاهرة باللامبالاة:

«لطيف جداً... لكن اذا كان وجودي يسبب اي ارباك فاني سأتناول وجبة خفيفة في الخارج».

ابتسمت الليدي كير سلاك برياء وهي تقول:

«اوه يا عزيزتي، هذا امر غير متوقع منك أبداً. كم انت حمقاء احياناً. بالطبع لا نريد ان نتدخل في شؤونك، فأنت امرأة ناضجة الآن، وطبيعي جداً ان ترغبي في ان تكوني مستقلة. ولا نريد ان نجعلك تشعرين بأننا نكبح رغباتك بأي شكل من الأشكال».

توقفت عن الكلام ثانية وفي صوتها شيء من اهتمام وقلق امومي، وكأنها تريد ان تكسب ثقة موروينا. لكن موروينا قررت ان لا تتخددع بها ولا للحظة. وحتى ولو لم تكن قد سمعت ذلك النقاش القصير في غرفة الجلوس، فانها ادركت ان نبرات باتريسيا ومواقفها كلها تكشف انهم يحملوها ما فيه الكفاية، وينتظرون رحيلها بفارغ الصبر.

فجأة أحست ان اعترافها بالعجز وموت امالها في ان تكون فنانة هو اكثر مما تستطيع تحمله.

قفزت الى ذهنها فكرة غريبة. وقبل ان تناقش مدى الحكمة فيما قررته، تكلمت قائلة:

«لا تقلقي بشأني بعد الآن، يا ابنة العم باتريسيا، قررت ان اخبرك بعد الغداء انني ذاهبة من هنا».

«الى اين؟».

هتفت الليدي كير سلاك.

«الحقيقة انني استلمت رسالة هذا الصباح فيها دعوة للبقاء مع اقرباء امي في تريفينون حتى يحل موعد ذهابي الى كاركاسون في الربيع. انها فرصة جيدة لي. كورنول مكان رائع للفنانين، سمعت امي تكرر دائماً انها انجزت افضل رسوماتها هناك».

أنهت كلامها بحقن وهي تفكر ان باتريسيا كانت متلهفة لسماع هذا الخبر. استقرت نظرات الليدي كير سلاك على مجموعة الصور البادية خلف موروينا، ثم عادت لتحقق في وجهها باستغراب قائلة:

«هل لأملك اقرباء في كورنول؟ لم اكن اعرف ذلك...».

قاطعتها موروينا قائلة:

«اقرباء بعيدون جداً... الله وحده يعرف كم عددهم».

ثم بحثت في ذاكرتها عن اسماء لتسند روايتها:

«انه الخال دومنيك الذي بعث الرسالة».

كان هذا هو الاسم الذي تكرره امها دائماً: دومنيك من علم ابنة المدينة تسلق الصخور حافية القدمين، تجذيف القارب، اصطياد السمك، وهو من قصص عليها تلك الاساطير التي تذكرتها موروينا، كقصص ما قبل النوم. قصص عن الاشباح الصغيرة التي تقطن منجم القصدير، والتي تتنبأ بضررات معاولها بحدوث الكوارث. قصص عن السفينة التي غرقت في المضيق خلال العواصف التي

لاحقت الاسطول الاسباني المنحوس، والذهب الذي غرق فيها.
«انها مفاجأة...»

قالت الليدي كير سلاك، ثم اضافت بعد لحظة:
«اظن انك تعرفين ما تفعلينه. لكن هل سبق أن التقيت بأحد من هؤلاء الأقارب؟»

«كلا، لكنني احس بأني اعرفهم جيداً. لقد حدثتني امي كثيراً عنهم.»

دست موروينا يديها في جيوب سترها وهي تشعر بإثم كبير لهذا الكذب. قالت الليدي كير سلاك بخشونة:

«حسناً، انه لعطف كبير منهم ان يعرضوا عليك بيتاً. أمل الآ تستغلي كرمهم يا موروينا. انت لا ترضين ان تكوني عالة على الآخرين طوال حياتك. لكن اذا كان الأمر مجرد اسابيع فأظن انه لن يكون ثقیلاً.»

توقفت للحظة ثم اضافت متسائلة:

«والآن، ماذا بشأن الغداء؟»

«ارجو الآ تقلقي بشأني. اظن اني سأذهب لأحزم أمتعتي.»

«مثلما تشائين.»

قالت الليدي كير سلاك بدون ان تهتم باخفاء غبظتها من جريان الأمور بهذا الشكل. استدارت نحو الباب ثم ترددت وكأنها تذكرت شيئاً ما، وقالت:

«اذا كنت ترغبين في اخذ اي من هذه الرسوم، فلا تردددي في ذلك يا موروينا. لقد اتفقنا انا وجيوفري الليلة الماضية انه من الانصاف ان تحتفظي ببعض التذكارات من والدتك، رغم انه ليس هناك من نص قانوني يخولك بذلك.»

«شكراً لك...»

«لا اقترح بالطبع ان تأخذي اياً من الصور التي في الطابق الاسفل، اما التي في هذه الغرفة فخذني منها ما تشائين. لا اعتقد ان الغرض من الاحتفاظ بالرسوم هو جودتها بأي شكل من الاشكال، وإنما بالطبع قيمتها العاطفية بالنسبة اليك.»

كان وجه موروينا جامد التعابير، وكلمات الشكر التي قالتها كانت مؤدبة. ويبدو ان أمل الليدي كير سلاك في رؤية اية علامة ابتهاج على وجهها، قد خاب.

وحالما تأكدت ان الليدي كير سلاك قد ابتعدت، الفت بنفسها على المقعد الطويل وجسدها يرتعش، وهي تحقّق في رسوم البيت الوحيد على الصخور الكثيرة، وقالت لنفسها:

«أوه يا الهي، ما الذي فعلته بي؟»

حاولت جمع شتات افكارها. قبل كل شيء انها لم تقرر الذهاب الى كورنول بعد، وقد ولد هذا الموضوع من وحي اللحظة لتتقد به ماء وجهها امام باتريسيا. فليس لديها اي شيء هناك.

انتابتها موجة حنق، انها لا تريد العيش بين مجموعة من الغرباء، كما انها لا تعرف ايضاً فيما اذا كان دومنيك الذي طالما حدثتها امها عنه ما يزال حياً. واذا كان كذلك، فانه الآن في ستينات عمره على الأقل. والاعوام التي انقضت امها في تريفينون امست الآن ذكريات بعيدة.

هزت رأسها ببطء. عليها ان تكف عن التفكير في هذا الأمر. الحقيقة هي انها الآن بدون مأوى. لكن ذلك ليس بكارثة. الكثير من الاصدقاء والصديقات بعيدون عن بيت الأهل لأسباب مختلفة، ومع هذا استمروا في العيش. وكان عدد من اسماء هؤلاء في دفتر

عناوينها بامكانها الاتصال وطلب العون منهم في حالة الضرورة. الكثيرون يشاركون بعضهم في السكن، وآخرون يتزوجون ويخلون اماكنهم.

لا بد ان هناك في مكان ما من يبحث عن فتاة اخرى ليكمل عدد الساكنين. وحتماً هناك عمل ايضاً، قد لا يكون من الاعمال التي تطمح اليها، فتلك تتطلب مؤهلات ومهارات. لكن عليها ان تجد اي عمل تضمن منه عيشها.

اما الدراسة فتستطيع الالتحاق بحصص المساء.

سيطرت على تقلصات ملامحها. لقد اضحى هناك مسافة واسعة بينها وبين ربيع جنوب فرنسا الذي طالما حلمت به. لكن عليها ان تلوم نفسها فقط. كان بمقدورها ان تقدم أعمالاً افضل من تلك التي أرتها للينوكس كريستي، لكنها ظنت ان المال هو الذي سيضمن لها مقعداً في مدرسته، وباختصار لم تجهد نفسها بالعمل، ولو حاولت الآن فان الأمر سيكون مختلفاً.

أخذت الرسالة المطوية من جيبها وأعدت قراءتها بتمهل. انها لا تحوي املاً اكيداً غير ان لينوكس يعرض عليها فرصة ثانية، وهي بدورها تحتاج للعمل بجد في الشهور القليلة القادمة حتى تقنعه بأنها تملك الاخلاص والمثابرة بالاضافة الى الموهبة، وانها ليست مجرد فتاة همها قضاء بضعة شهور في جو مشمس. نهضت ومشت الى النافذة، وتأملت مجموعة اشجار جرداء في الخارج وسط مرج اخضر. انها بحاجة لبضعة شهور لتنجز بعض الرسوم الجيدة، غير ان ما هو مهم الآن هو ايجاد سكن وعمل. اجرت بعض الحسابات الذهنية السريعة لكن النتائج كانت محبطة. ما عندها من مال قليل في البنك لا يكفي حتى تواصل تحقيق هذا الحلم الضعيف.

تهدت ثم القت نظرة حزينة الى الوراء حيث الصور المعلقة على الحائط تناشدها بقوة. اذا ما قررت ان تأخذ معها اياً من رسومات امها، فستكون هذه الصور والصورة الشخصية المعلقة فوق الموقد المرمرى. لكن الله وحده يعلم ما الذي ستفعل بها، انها لا تقدر ان تتخيلها وقد علقت في شقة احدى صديقاتها كجزء من الديكور. ستحتفظ بها في مكان أمين حتى تعثر على بيت مستقل متى آن الاوان. توقفت بغتة وهي في طريقها الى الباب، وحدقت في الصور ثانية. ليس بمقدورها الادعاء ان لها بيتاً في تريفينون، لكن بالتأكيد انهم سيقبلون الاحتفاظ بالصور عندهم اكراماً لذكرى امها اذا ما شرحت الأمر لهم.

انه مجرد حل مؤقت، وستكون الصور في مأمن هناك. انتابتها بعض الراحة حين عثرت على حل لواحدة من مشاكلها على الأقل، غير ان العثور على مثل هذا الحل الجاهز لما تبقى من مشاكلها يبدو مشكوكاً فيه. ومع هذا اتجهت الى غرفتها لحزم امتعتها وفي داخلها ومضة امل صغيرة.

الايام القليلة التي تلت لم تكن مريحة أبداً. ومع انها اعلنت تركها للمكان، الا انها شعرت بان الجو في البيت لا يمكن ان يطاق. كانت بشكل عام قاسية في حزم امتعتها. فمعظم محتويات خزانة ملابسها اودعتها سوق الملابس المستعملة لبيعها بثمان بخس، واشياء اخرى عزيزة قدمتها الى مخزن للاحسان، ولم تحتفظ لنفسها الا بما هو اساسي جداً. غير ان هذا لم يحزنها قدر ما احزنها الرحيل بدون كتب الطفولة والاشياء الاخرى التي ما تزال تشغل غرفة نومها. كانت تأمل ان تنتقل هذه كلها الى اطفالها يوماً ما، لكن عليها الآن ان ترحل بأخف ما يمكن حمله. حشرت حاجياتها في حقيبة واحدة

كبيرة، بينما وضعت ادواتها للرسم في حقيبة اخرى قديمة. اخرجت مجموعة ترفينون من الرسوم والصور الشخصية لامها من اطاراتها بعناية ووضعتها في رزمة انيقة تحت مراقبة الليدي كير سلاك.

تعمدت الأمور أكثر مع وصول غاي وصديقه، كان شعرها اسود ومصفاً بعناية، وقهقهاتها تثير اشمزاز مورينا، مع ان غاي لم يكن يرى في سلوكها شيئاً مشيناً. تحملت مورينا اذلاً آخر ايضاً، ذلك ان غاي اخبر صديقه جورجينا بكل ما كان بينها وربما باضافات من عنده. وكان رد فعل جورجينا هو معاملتها بنوع من الازدراء الممزوج بالشفقة مع الاحساس بالزهو من ان ما خسرت مورينا قد كسبته هي. عانت مورينا من هذا الوضع عاجزة عن فعل شيء، وادركت انه لا جدوى من محاولة اقناع جورجينا بان ما كان بينها وبين غاي لم يتعد بداية علاقة، وهي لا تحاول برزانتها اخفاء الجرح الذي سببه لها. كانت تود حقاً ان تقول لها انها تبارك علاقتها بغاي، وهي فقط تشعر بالاسف لانها لا تملك من الذكاء ما يكفي لتعرف اهداف غاي الخفية منها. لكنها كانت موقنة ان جورجينا لن تصدقها.

ما اثار دهشة مورينا حقاً هو موقف ابنة عمها فانيسا. فمع اقتراب موعد رحيلها، اصبحت اكثر مودة معها، حتى عرضت عليها ان تأخذها بسيارتها الى محطة القطار. ومع ان مورينا قد قبلت عرضها الا انها لم تخادع نفسها بانها عثرت على صديقة حميمة جديدة. وفكرت بان غاية فانيسا من اخذها الى محطة القطار هي التأكد من ذهابها فعلاً الى كورنول، بالاضافة الى انها كانت تبحث عن رفقتها خلال ساعاتها الاخيرة في بريوري حتى تتجنب جورجينا التي شعرت نحوها بكرامية واضحة وملفتة للنظر بشكل مربك.

عرفت مورينا ان الحياة في بريوري ستغدو قريباً أشبه بالجحيم،

خاصة اذا ما قرر غاي الزواج من جورجينا وبالتالي الحصول على نقود اببها التي تتحدث عنها دائماً وبصراحة. وهذا ما خفف من شعورها بالآلم لابتعادها عن بيتها. ومع ذلك لم تستطع ان تحبس دموعها قبل ان تنام كل ليلة، ليس لما فقدته فقط بل من الخوف ايضاً. كانت تشعر باطمئنان حين تقول لنفسها بيقين ان لا احد يخشى الموت جوعاً في بلدها المترف هذا، لكن الحقيقة التي كانت تواجهها دائماً هي انها والى ما قبل اسابيع قليلة كانت مطمئنة ومحمية، بالرغم من انها لم تكن بحاجة لأن تذكر نفسها ان هناك آلاف من الفتيات في عمرها في وضع أسوأ مما هي فيه. لكنها تشعر بوحدة قاسية وبخطورة وضعها غير الحصين. فبعد ان كانت محور حب العائلة ها هي قد اصبحت فتاة منبوذة تماماً.

انتابت مورينا راحة كبيرة حين حل يوم رحيلها. قالت عبارة وداع قصيرة للسيد جيوفري في المكتب الذي كان يخص والدها. وحين مد هذا اليها ورقة صك بمبلغ جيد وهو يتمم ببعض الكلمات، ارتبكت واهمر وجهها غضباً وهي ترد بكلمة شكر مقتضبة. وحالما اصبحت خارج المكتب مزقت الصك الى قطع صغيرة والقتها في مزهريه خزفية كبيرة قائمة في الممر. اما الليدي كير سلاك فقد عادت الى عذوبتها السابقة، مانحة انطباعاً بان عناد مورينا فقط هو الذي يأخذها بعيداً عن بريوري. وتساءلت مورينا ساخرة وهي تضع خدها على الخد المعطر الآخر الذي امتد نحوها، ترى ما الذي سيكون رد فعل ابنة العم باتريسيا اذا اعلنت انها قد عدلت عن رأيها وقررت البقاء في بريوري.

كانت فانيسا تنتظر في الصالة بنفاد صبر، ولم تحاول مساعدة مورينا في حمل حقائبها، لكنها سارت بحيوية الى سيارتها وادارت

المحرك بينما ابنة عمها تضع حقائبها في الصندوق الخلفي . ثم صعدت مورويانا وجلست محدقة الى الامام ، فنظرات الحسرة الى الوراء لا تورث سوى الحزن .

رمقتها فانيسا بنظرة جانبية ، وقالت :

«انت مجنونة تماماً ، تشتاقيين الى كورنوول من بين كل الأماكن . ربما كان ذلك طبيعياً في الصيف ، لكن ما اتعس كورنوول في الشتاء ، يا الهي .»

توقفت عن الكلام لبرهة ، لكن لم تبدر من مورويانا اية استجابة . ثم استمرت :

«ظننت ان غاي سينزل لتوديعك ، خاصة في مثل هذه الظروف . انتظرت للحظة بدون ان تتلقى اي رد . وبدا الغضب في نبرتها قليلاً حين تكلمت ثانية :

«ربما فكر ان جورجينا المرعبة ستزعج اذا ما اقدم على توديعك .» قالت مورويانا بهدوء :

«ليس هناك من داع لأن يسبب اي ازعاج .»

«او .» خففي من كبريائك قليلاً .»

قالت فانيسا وهي تزيد من سرعة السيارة وتجتاز شاحنة كانت امامها . ثم استمرت في كلامها :

«تعرفين جيداً انك كنت تحبين غاي ، وبالطبع ليس سهلاً ان ترينه مع فتاة اخرى . انا لا الومك ابداً في ذهابك الى مكان آخر لتلغقي جراحك . اظن انني كنت افعل الشيء نفسه لو كنت في وضعك . لكن اذا كان هناك من عزاء لك فهو ان امي لا تحبذ جورجينا ، وهي تراقبها دائماً وتحاول ان تكون مهذبة معها . واعتقد انها بشكل ما كانت تفضلك لو ان غاي استقر عليك .»

«شكراً لك .»

قالت مورويانا بجفاف .

هزّت فانيسا كتفها قائلة :

«او .» انت تفهمين ما اعنيه . ومع هذا فأنت احبيته الى حد ما ، لكنه سحب نفسه .»

قالت مورويانا وهي تسيطر على انفعالاتها بصعوبة :

«بدون ان يجعل مني زوجته المخلصة . اتعنين هذا؟ اهذا كل ما تفكرين به؟»

رمقتها فانيسا بنظرات مضطربة ، وقالت :

«ولا أقصد ذلك ، لكن غاي هو الآن مع جورجينا ، وهذا تصرف وقع ولهذا . . .»

رسمت مورويانا على وجهها ابتسامة وهي تقول :

«ولهذا فأنتم تفترضون جميعاً بأنني فعلت معه الشيء نفسه ، وبالسهولة نفسها . لا استطيع ان أظاھر بأنني مدعية ، اوربما ان غاي يختار سهلات الانقياد عادة .»

اجابت فانيسا ساخرة :

«حسناً ، لنقل انه لم يكن ينفق الكثير من وقته على الخائفات .» عضّت مورويانا شفتها قائلة :

«هكذا اذن .»

ثم صممت برهة وهي تفكر في ايها اسوأ :

الادعاء بانها كانت خلية غاي المطوعة ، ام انها لم تكن ذات جاذبية كافية حتى يقدم على اغوائها .

لقد فضلت ان لا تكون هذا ولا ذاك . اطلقت ضحكة وقالت وهي تحشر يديها في جيوب سترتها حتى تحفي ارتعاشتهما :

«في الحقيقة كانت علاقتنا قائمة على منفعة متبادلة أكثر من أي شيء آخر».

ثم استطردت بعد توقف قصير:
«كلانا كان يبحث عن شخص يسند. وأنا لا ألوم غاي في اختياره النساء الثريات. وها أنا أفعل الشيء نفسه تقريباً».

«انت؟»
هتفت فانيسا وهي تحلق فيها، ثم اردفت:
«لا اصدقك».

اتسعت ابتسامة مورويينا وهي تقول:
«حسناً، دعيني اقول انني لست ذاهبة الى كورنول لمجرد التزهة».

«لا؟ هل هناك رجل؟»
سالت فانيسا وقد صدقت كلام مورويينا. اطلقت مورويينا ضحكة واثقة واجابت:

«بالطبع هناك رجل، وإلا لما تحملت مشاق السفر الى ذلك المكان النائي في مثل هذا الوقت».

«لقد عرفت دائماً انك لست بالساذجة، هل عرفته منذ زمن طويل؟»

اجابت مورويينا وهي تهز كتفها بمرح:
«منذ زمن كاف».

«هل تنوين الزواج منه؟»
«أوه، ان ذلك يتوقف على أمور كثيرة، أفضل التفكير فيه حين يحين أوانه».

أطلقت ضحكة قصيرة ثم استمرت قائلة:

«واذا استطعت اقناعه بان يعطيني من النقود ما يكفي نفقات دراستي للرسم، ربما لن افكر في الزواج إطلاقاً».

قالت فانيسا بدهشة:
«لقد فهمت حسناً كل ما استطيع قوله هو انني اتمنى لك حظاً سعيداً».

«شكراً لك».

ضحكت مورويينا وتابعت:

«اظن انني لن احتاج الى ذلك».

للحظة استسخت نفسها للعبة التي لعبتها مع فانيسا. لكن ماذا يهم، فهما لن تلتقيا ثانية. وهي تعرف جيداً ان ابنة عمها سوف تتنفس بارتياح وتبعدها عن ذاكرتها بمجرد ان تبعد عنها، فهي تعرفهم جيداً. فما دامت تقيم في بريوري، فلن يشعروا بان الارث يؤول اليهم حقاً. كانت ضيفة ثقيلة عليهم، والحقيقة ان العلاقة لم تكن حميمة بين العائلتين يوماً ما.

حين وضعت حقيبتها والرزمة التي تحوي الصور، فوق رف الأمتعة وأحست بحركة القطار وهو يبدأ رحلته الطويلة نحو الغرب، انتابها حزن شديد. راقبت الأرضية والواح الجدران الخشبية وهي تنساب الى الخلف بقنوط شديد.

ابتلعت ريقها، ويدت لها حجة الطلب الى اهل تريفينون الاحتفاظ برسومات امها، معقولة. لكن ما هو الحق الذي تمتلكه في ان تسأل عن اي احسان وهي الغريبة بين غرباء؟ اما كان من الافضل لو مكثت في لندن وأرغمت نفسها على بيع تلك الرسوم؟ اما كان ذلك اجدي من ركوب هذه الرحلة الى زاوية في انكلترا لا تعرفها الا من خلال قصص ما قبل النوم وبعض المناظر الرومانسية. تنهدت

بألم. ها هي قد بدأت رحلتها سواء كانت احسنت القرار ام اساءته.
وتمنت لو انها استطاعت ان تطرد من فكرها ما قاله احدهم يوماً:
«ان السفر بأمل، خير من الوصول».

٢ - وانطلقت الدموع

لم تتحسن حالة موروينا النفسية، حتى حين وصلت الى بنزاس.
وظلت كأبتها كما هي. كانت السماء الرمادية ما تزال تمطر، مما زاد من
شعورها بالوحدة والضعف. تمت لو ان قدرتها المالية تسمح لها لكي
تستقل سيارة تاكسي الى تريفينون، لكن ذلك سيكون مجازفة،
خاصة وهي لا تعرف كم يبعد المنزل من بنزاس. للحظات راودتها
فكرة العثور على مكان في بنزاس لقضاء الليل فيه. ولكن سرعان ما
ابعدت تلك الفكرة عن رأسها. وايقنت ان ما هو مهم الآن هو
الوصول الى تريفينون وايداع الرسوم هناك.
سارت تحت المطر حاملة حقيبة الظهر على كتفها، بينما الحقيبة
الثانية في يدها الاخرى. وكان شعرها مبتلاً وقد تهدل حول وجهها

المبتل هو الآخر. من مكتبة صغيرة اقتنت خارطة للمنطقة، ودخلت الى مقهى كان من حسن الحظ انه ما زال مفتوحاً، حيث في مقدورها الاحتواء فيه من المطر وتأمل الخريطة براحة. لم تعثر على تريفينون في الخارطة، لكنها عثرت على بورت فينور بينما هي تشرب قهوتها وتتناول سندويشاً من الجبن، وعثرت على المضيق الاسباني ايضاً، فعرفت الاتجاه الذي يجب ان تسلكه.

حين تركت المقهى واجهتها ريح قوية كادت ان تفلت الباب من يدها وتفقدتها توازنها للحظة. سيطرت على نفسها وهي تن من الألم والضعف. لقد حدثتها امها كثيراً عن الرياح الجنوبية الغربية العاصفة في هذه المنطقة، لكنها لم تكن تتوقع ان عاصفة كذلك ستصادفها حالما تصل الى هنا. وما يقلقها هو المصير المجهول الذي ينتظرها، لكنها لم تجد بداً من الاستمرار، فغيرت وضع حقيبة السفر لتريح كتفها، ثم احنت رأسها عكس اتجاه الرياح الشديدة وواصلت سيرها. فكرت في شيء واحد هو: ترى هل احسنت عملاً بمجيئها الى هنا، ام ان ذلك مجرد جنون ارتكبته بدون وعي. وكانت في اعماقها تتوسل الى الله ان يكون العجوز دومنيك رجلاً طيباً وشفوقاً، وان لا يستجوبها بالكثير من الاسئلة وهي على عتبة داره.

حين اصبحت في موقف الباص، اكتشفت انها ليست وحدها. كانت هنالك فتاة اخرى تنتظر وقد احتمت بمدخل احد الأبواب من المطر والريح. وهي فتاة قصيرة وممتلئة، ترتدي رداء طويلاً اسود. وكان وجهها مدوراً ودوداً، ابتسمت الفتاة لمورينا، بينما هذه تضع حقيبتها على الأرض وتنزل حقيبة الظهر عن كتفها. قالت الفتاة:

«انه يوم بائس حقاً...».

«نعم. والظلام يحل بسرعة في مثل هذا الوقت من السنة».

اجابتها مورينا وهي تنظر فيما حولها.

«هل تقصدين مكاناً بعيداً؟».

«لست متأكدة في الحقيقة. احاول الوصول الى بيت يدعى

تريفينون».

«تريفينون...؟».

قالت الفتاة بدهشة ثم اضافت:

«انه على مسافة بعيدة. عليك ان تنزلي في مكان يدعى تريفينون

كروس...».

وصمتت للحظة ثم قالت وهي تحديق في وجه مورينا:

«لا اريد ان اكون فضولية، لكن هل انت متأكدة من ان ذلك هو

المكان الذي تقصدينه؟».

لم تكن مورينا في الواقع واثقة من اي شيء، لكنها رفعت وجهها

بثقة لم تكن تملكها في الحقيقة. وقالت:

«بالطبع انا واثقة. انني ابحت عن السيد تريفينون. دومينيك

تريفينون. هل تعرفينه؟».

تلعثمت الفتاة ثم تمتمت:

«لا اعرفه شخصياً، انه في الحقيقة لا يستقبل احداً في مملكته

الخاصة».

همست مورينا لنفسها: اذن هذا هو السيد الذي عقدت عليه

آمال. وقالت:

«اظن انك تبالغين في حقته».

«بل انه اسوأ من هذا، متكبر فقط الخلق. متمسك بمنزله

واراضيه على الشاطئ وكأنه يدافع عن آخر قلاع كورنول. انه يكره السياح ولا يمد يد العون لأحد. ولكن اذا كان يتوقع وصولك فسيكون الأمر على ما يرام».

اشتدت دقات قلب مورينا وفكرت: اذا كان هذا هو ما عليه العجوز الكريم، فكيف سيكون استقباله لها؟ يبدو انك تعرفين الكثير عنه».

سألتها مورينا.

«ليس كثيراً في الواقع. لكنني املك صالة لصنع التحف الفخارية مع اخي، واردنا توسيعه ببناء مخزن ملحق به، لكننا فشلنا في الحصول على اجازة البناء، وكان السيد دومنيك تريفينون وراء حجب الاجازة عنا. انه يخشى ان يجلب ذلك المخزن، السياح الى منطقته. فهو يعتز بوحده جداً».

شكراً على هذا التحذير، قالت مورينا لنفسها، ونظرت الى ساعتها. سيصل الباص في اية لحظة، وما يزال هناك متسع من الوقت لتغير رأيها. احقاً هذا هو الرجل الذي تحدثت عنه امها بكل ذلك الحين، ام ان الزمن قد غير من طباعه الى هذا الحد؟

«بالمناسبة، انا بيدي برادشو... كنت انجول في بعض مخازن الهدايا، احاول بيع بعض متجاتنا، يبدو انه ليست هناك طلبات كثيرة في الوقت الحاضر».

مورينا قدمت نفسها ايضاً وهي توميء برأسها. فقالت بيدي باهتمام وهي تبسم:

«لكن مورينا اسم كورنولي. يبدو انك من هذه المنطقة».

«لست من هذه المنطقة، لكن امي قضت معظم صباها هنا، لذا فاختيارها لهذا الاسم لي طبيعي فيما اظن».

«اظن ذلك. اوه لقد وصل الباص اخيراً».

صعدتا الى الباص. قالت بيدي:

«ستنزلين بعدي بمنطقة، ثم تنحرفين يساراً وتستمرين في الشارع نفسه الذي يوصلك الى المنزل مباشرة».

ارادت مورينا ان تستفسر الكثير من بيدي عن تريفينون، لكن الزحام في الباص حال دون ذلك. كانت بيدي رفيقة لطيفة، تمتت مورينا لو تطول رفقتها لها، وتأثرت كثيراً حين قالت بأنها تقترب من منطقة نزولها. ودعت مورينا قائلة:

«اتمنى لك حظاً سعيداً. واذا ما رغبت في البقاء فترة هنا، فأرجو ان تزورينا في صالة الفخاريات».

«سأحاول...».

اجابت مورينا مبتسمة.

وحين نزلت بعدها بمنطقة، وابتعد الباص عنها، اخذت نفساً عميقاً ومشيت بضع خطوات وجدت نفسها بعدها في ظلام. كانت الرياح تمهب عاصفة وتبعثر خصلات شعرها على وجهها. شددت سترتها على جسدها باحكام، وفكرت بانها كانت تتوقع نفسها في اي مكان في هذا العالم غير هذا المكان المظلم البارد في هذه المنطقة الريفية. واصلت سيرها باتجاه ضوء تقاطع الشارع، حيث انحرفت هناك الى اليسار حسبما اوصتها بيدي. المطر ما يزال يهطل وصوت هدير البحر يأتيها واضحاً. وجدت نفسها في درب مظلم ضيق غاط من جانبيه سياج نباتي عال، ولم يكن هنالك اي ضوء باستثناء ضوء القمر الخافت الذي كان يطل بين حين واخر من بين الغيوم.

وتذكرت انها وضعت مصباحاً يدوياً يعمل بالبطاريات في حقيبة الظهر، فأنزلت الحقيبة وبدأت تفتش فيها حتى عثرت عليه. وحين اشعلته كان نوره ضعيفاً غير انه كان كافياً لاضاءة الطريق امامها.

سارت حوال عشر دقائق، وتمنت لو ان لوحة الارشاد التي صادفتها في بداية الدرب، قد اعطتها فكرة عن المسافة التي تفصلها عن المنزل.

فجأة سمعت صوت ارتطام عنيف بالقرب منها، كان الصوت قوياً حتى طغى على صوت هبوب الريح رغم شدتها وعلوها. كانت شجرة قوية اقتلعتها الريح العاصفة واقتتها على الطريق، والحسن الحظ لم تصب مورينا بأذى، لكنها ارتعبت وتوترت اعصابها، غير انها استردت هدوءها بعد فترة قصيرة. امسكت غصناً منها وحاولت تحريكها حتى تبعدها عن الطريق، لكنها فشلت. وعرفت ان هذه الشجرة ستسبب كارثة لأية سيارة متجهة الى البيت او عائدة منه. فقررت ان تهرع الى البيت اينما كان وتخبر من فيه بالأمر. غير انه لم يمر سوى لحظات حتى سمعت محرك سيارة قادمة من بعيد، فالتفتت فيها حولها واخذت تبحث في الظلام حتى لمحت ضوء مصباحين قوين متجهين نحوها، وادركت ان السيارة قادمة الى تريفينون، وانها ستصل هنا في اية لحظة وسائقها يجهل الخطر الذي ينتظره في الطريق. ركضت الى المنحنى الطريق ووقفت في وسطه وهي تحرك مصباحها على ضوءه يسترعي انتباه السائق. واقترب صوت المحرك حتى كاد ان يصم أذنيها، وبغته سمعت صرير عجلات تتوقف بعنف، وان جسدها قد القي بقوة نحو السياج. ثم احست بيدين قويتين ترفعانها وتوقفانها على قدميها.

كان رجلاً طويلاً اسود اللون، وكانت سحته غاضبة وهو يقول:

«ما الذي تفعلينه هنا، اينها الحمقاء؟ كنت على وشك ان تموت!».

حررت نفسها من يديه بغضب وانفجرت في وجهه قائلة وهي تلهث:

«لا تقل انني حمقاء. وماذا عن نفسك؟ انك تقود سيارتك كالمجنون في هذا الليل المظلم. لو دهستني لكنت انت المخطيء!».

«هل تسمحين ان احيطك علماً بأن هذا طريق خاص. ولا يتوقع احد ان يصادفه عابر مجنون مثلك».

«لست مجنونة، وانما كنت احاول انقاذ حياتك. او على الأقل ان احول دون اصابتك بجروح».

ساد صمت ثقيل، قطعه صوته وهو يتساءل باستغراب:

«ماذا تقصدين؟».

«هناك شجرة واقعة على الطريق خلف هذا المنحنى. كنت ذاهبة لاخبر احداً في البيت حين سمعت صوت سيارتك. وفكرت انه من الأفضل ان ابقى واحذرك حتى لا تصطدم بها».

«انتظري هنا...».

قال بغته وذهب الى سيارته، ادار محركها وسار بها الى ما بعد المنحنى. ثم اوقفها هناك، وعاد ماشياً.

«يبدو انني مدين لك بكلمة اعتذار».

قال بهدوء ثم اضاف متسائلاً:

«ولكن ماذا تفعلين هنا؟ هل اضعت الطريق؟ هذا طريق خاص

يؤدي فقط الى...».

لكن موروينا قاطعته قائلة:

«الى تريفينون. اعرف ذلك. انني لم اضع طريقي، لكنني ذاهبة الى تريفينون، اريد ان ارى السيد دومنيك تريفينون.»
«حقاً؟ وهل السيد تريفينون يتوقع وصولك؟».

«كلا. وقد حذرني احدهم قبل قليل بأنه متعجرف جداً، وبحسب نفسه ملكاً غير متوج على منطقة كورنول. لكن هذا لا يغير من الأمر شيئاً. فأنا ذاهبة لمقابلته.»

«ولماذا تصرين على مقابلته؟ اليس من الأفضل ان تبتعدي عنه وقد عرفت طباعه؟».

«لا بد ان اراه. اريد ان اسأله معروفاً.»

«وهل تعتقدين انه سيلبي طلب عابرة سبيل غريبة مثلك؟».

«يداخلني شعور بأنه سيساعدني، بالاضافة الى انني لست غريبة عنه تماماً.»

«ماذا تعنين بأنك لست غريبة عنه تماماً؟».

موروينا احست انها تحدثت اكثر مما ينبغي، لذا اجابته قائلة:

«آسفة، هذا امر يعود لي.»

ثم اضافت بعد توقف قصير:

«اظن انك صديق مقرب منه، وانك في طريقك اليه، وستخبره عما قلته عنه، لا تتردد في ذلك. فلن يغير ذلك شيئاً.»

حاولت ان تتحرك من مكانها، لكن المأ شديداً في اطرافها شلها عن الحركة.

«هل تأذيت؟ لقد صدمتك السيارة بعنف.»

«اوه، لا تقلق. اظن انني ما زلت قادرة على المشي.»

«قفي منتصبه، دعيني افحصك. ربما اصبت بكسر.»

وقفت موروينا في مكانها واسنانها تصطك من الغيظ والألم، وهو يفحص اطرافها بدقة وعناية.

«شكراً لك. يبدو انك طيب بيطري.»

«ليس بالضبط. من المفيد ان احذرك من الكلاب. انها غير متعوده على استقبال الغرباء في البيت.»

«يا الهي...!».

هتفت موروينا بخوف. غير انه كان من العسير عليها ان ترى وجهه بوضوح حتى تعرف فيما اذا كان يمزح ام انه جاد في قوله.

وسألت:

«وهل هي كلاب شرسة؟».

«ذلك يتوقف عليك. لا تحاولي اثارتها.»

«اتظن ان الأمر سيكون افضل لو عرفت اسماءها؟».

«أظن ذلك. احدهما يدعى وسكي والآخر ماكس.»

حملت موروينا حقيبة الظهر على كتفها والحقيبة الأخرى في يدها، وهمت بالسير لكنه قاطعها قائلاً:

«سؤال اخير لو سمحت. كم من الوقت تودين البقاء في تريفينون؟».

ارادت ان تقول له ان جل ما تطلبه الآن هو قضاء هذه الليلة تحت سقف يحميها، لكنها ضبطت لسانها وقالت مازحة:

«لنر كيف تسير الأمور، ربما سيهواني ملك كورنول.»

«سيهتم بك حتماً.»

قال بنبرة لطيفة وهادئة.

سارت في طريقها مرفوعة الرأس، متحاملة على نفسها بدون ان تعرج حتى اجتازت منحى الطريق واصبحت خارج حدود ضياء مصابيح السيارة. كانت الريح قد خفتت، لذا بدا صوت ارتطام امواج البحر بالساحل اكثر وضوحاً. وكان المطر قد توقف ايضاً. وعلى ضوء القمر الذي ظهر من بين الغيوم المتسارعة، بدا هيكل البيت واضحاً، المداخل والسقف، وعلى جهة اليسار كان هناك ضوء مصباح في احدى نوافذه. احست موروينا بموجة حنين تغمرها وهي تتذكر رسوم والدتها، وامتلأت عيناها بالدموع. وعلى مقربة منها نبح كلب وتبعه كلب ثان. وفي البيت اضيء ضوء اخر، وكان اهل البيت يستجيون لنداء الكلاب. بالطبع قالت موروينا لنفسها. انهم ينتظرون زائراً، الرجل الذي قابلته في الطريق.

جمعت كل شجاعته واتجهت نحو الباب الرئيسي. وقرعت الجرس المثبت على جانب الباب. اخذ الكلبان ينبحان ويدنوان منها، فنادتهما باسميهما فتوقفا قريباً. ثم سمعت وقع اقدام قادمة من الداخل. سرت رعشة برد في اطرافها فدمست يدها في جيبها لتخفف من انفعالها. وانفتح الباب الثقيل محدثاً صوت صرير عميق. طالعها رجل بدين وقصير، عيناه تلمعان تحت حاجبين رماديين كثين. واخذ يحدق فيها بارتياب. ثم قال بامتعاض:

«يبدو انك اخطأت البيت الذي تقصدينه».

اقتربت منه موروينا اكثر وابتمت له وهي تفكر: ترى اهذا هو السيد تريفينون؟ يبدو حقاً مثلما سمعت عنه من جفاء.

«السيد تريفينون؟».

سألت موروينا بنبرة حاولت ان تكون واثقة.

«غير موجود».

«اهو مسافر ام انه خارج البيت؟».

«هذا ليس من شأنك. اذهبي الى سييلك».

اجابها الرجل، بينما في تلك اللحظة رن جرس الهاتف في مكان ما من البيت. وهم الرجل ان يغلق الباب وهو يقول:

«عليّ ان اُجيب على الهاتف...».

لكن موروينا هتفت به متوسلة:

«من فضلك. لقد اتيت من مكان بعيد هذا اليوم، اذا كان

السيد تريفينون غير موجود الآن فهل بوسعي الدخول وانتظاره؟».

«كلا...».

اجابها وقد بدا من نبرته انه فقد صبره، ثم اضاف حانقاً:

«لو كان السيد تريفينون راغباً في رؤيتك لأخبرنا بمجيئك. اتصلي

غداً بالهاتف وخذي موعداً لرؤيته... والآن اذهبي...».

وانسحب وهو يغلق الباب، لكن صوت امرأة هتفت به من الداخل:

«انتظر يا زاك، دعها تدخل».

«ماذا تقولين؟».

«قلت دعها تدخل. الم تسمع؟».

فتح الرجل الباب، ودخلت موروينا، وضعت حقيبتها على

الأرض ثم انزلت الحقيبة الثانية من على كتفها.

تأملت المرأة، موروينا برية، وقالت لها:

«يمكنك الانتظار في غرفة المكتب حتى يحضر السيد. هناك نار في

المدفأة... هل تريدين كوباً من مشروب ساخن؟».

قبلت موروينا وهي تشعر بالسعادة لسماحهم لها بالدخول بعد ان كادت تمكث في العراء في هذا الليل البارد. وزادت سعادتها وهي تدخل الى المكتب. طاولة كتابة عتيقة، تتكدس الاوراق عليها، بالاضافة الى آلة كاتبة قديمة. مقعد طويل مغطى بقماش بال موضوع امام المدفأة، والى جانبه مائدة صغيرة. وعلى الأرض فرشت سجادة مربعة حمراء.

جلست امام المدفأة ومدت يدها المرتعشة نحو النار فسرى الدفء فيها، لكن ما رآته لم يعطها شعوراً بالتفاؤل، وبدا لها واضحاً ان تريفينون يعاني من افول المجد منذ ان زارته امها آخر مرة. ويبدو ان هذا هو سبب عدم عودة امها الى هنا مرة اخرى. وربما ان تريفينون نفسه لم يشجعها على المجيء، حتى تبقى تتذكر الاشياء كما كانت، وتتذكر الناس هنا كما كانوا.

فتحت حقيبة الظهر التي كانت الى جانبها، واخرجت الرزمة التي فيها الرسوم، وبعد تردد قصير قامت ومشت نحو الطاولة ووضعتها فوقها.

كانت هناك مجموعة من الصحف والمجلات ملقاة على طرف المقعد باهمال، تفحصتها بسرعة وهي تعود الى مكانها، كانت متنوعة تعطي انطباعاً عن ذوق وشخصية مقتنيها. وهناك صحف محلية بينها، اخذت احداها وبدأت تطلع صفحاتها الأولى، لكنها لم تكن قادرة على التقاط الكلمات بوضوح، وادركت مدى تعبها.

دخلت السيدة حاملة صينية، وضعتها على المائدة، وتأملت موروينا بنظراتها طويلاً. فقالت موروينا:

«هل... هل هناك شيء ما، على غير ما يرام؟»

«انت تذكريني بشخص اعرفه... لا اقدر على تذكره الآن،

لكني سأذكره...»

خفق قلب موروينا بشدة. ترى هل هذا الشخص هو امها؟ لكن قبل ان تسألها، فتح الباب وجاء صوت زاك وهو ينادي: «انيزا!»

اجابته المرأة ثم خرجت اليه.

اسندت موروينا ظهرها الى المقعد باسترخاء بعد ان انتهت من شرب الشاي. واغمضت عينيها وهي تشعر بالدفء والطمأنينة بالرغم من جهلها بما سيحدث. وبدأت صور عديدة تتراقص في ذهنها وهي تسترخي اكثر فاكثر، ودفء النار يسري في جسدها ويبدد الألم من اطرافها. تراءت لها وهي في غفوتها اشجار تتراقص في مهب الريح، وكلاب تشع عيونها ببريق ذهبي. رأت بيدي ايضاً، وكانت الريح تمزق قبعاتها السوداء.

لم تعرف كم من الوقت اخذها النوم، لكنها استيقظت فجأة واستوت في مكانها. كانت الغرفة اكثر اضاءة، فادركت ان احداً ما قد اضاء المصباح الرئيسي الذي على الطاولة. وكان هناك رجل في الغرفة، عرفته، انه نفسه الذي التقته في الطريق، كان اسود اللون، وجهه نحيل وحاد التقاطيع كأنه قد من حجر الغرانيت. له انف مرتفع وشفتان ممتلئتان وغامقتان. وكان منحنيًا على رسوم امها يحرق فيها بعد ان فتح الرزمة.

التفت اليها، وحرق في وجهها بوجه غاضب، فسرت في جسدها قشعريرة، حاولت ان تقنع نفسها بأنها ما زالت غارقة في حلمها، لكنها ادركت ان الأمر حقيقة وليس حلمًا، حين تكلم بغیظ:

«من انت بحق الجحيم؟ وماذا تفعلين هنا؟»

ثم اضاف بعد صمت قليل:
«عندك دقيقتان لتجيبني على سؤالي قبل ان القيك الى الخارج».

٣ - حنين في الليل

غرقت موروينا في الصمت للحظة، ثم قفزت واقفة بانفعال، غير
مبالية لشعرها الذي انحلت عقدته وانساب على كتفها مثل شلال
من ذهب. وصاحت بغضب:
«ولكن من أنت حتى تحدثني هكذا؟ ولماذا فتحت تلك الرزمة؟
انها خاصة للسيد دومنيك تريفينون. ثم بأي حق دخلت علي هنا؟»
«أنت التي دخلت هنا. وليس أنا، يكاد وقتك ان ينتهي، لذا
انصحك بأن تجيبني على اسئلتني».
«لا ارجب في قول شيء. اريد التحدث الى السيد تريفينون
فقط».
«اظن انك لا تمارسين لعبة سمجة معي، وانك حقاً لا تعرفين من

انا».

جذدت موروينا في مكانها وعيناها تحدقان في وجهه بدهشة . ثم همست :

«كلا... لا يمكن ذلك . انت لست...».

«بل اؤكد لك ، انا دومنيك تريفينون . انا من أطلق عليه لقب ملك كورونول غير المتوج ، وهذه هي قلعتي».

«كلا... لا اصدق ذلك . لا يمكن ان تكون انت دومنيك تريفينون . انت لست كبيراً في السن».

«أهذه كلمة اطراء؟».

«كلا... انها ليست كذلك . ولكن حسب ما اعتقد ان دومنيك تريفينون الحقيقي هو الآن في الستينات من عمره على الأقل».

لم يندهش من قولها ، بل اخنى رأسه وكأنه يوافق على ذلك . ثم قال بهدوء :

«الآن اخبريني من انت ، وماذا تريد؟».

سيطرت على انفعالاتها وقالت بهدوء :

«يبدو انني قد اسأت التقدير . ليس امامي الآن سوى الاعتذار والانصراف . هل تسمح لي بأخذ رسومي؟».

مدت يدها نحو الرسوم لكنه تجاهل حركتها تماماً . وقال :

«ليس قبل ان تشرحي الأمر . لقد تحدثنا كثيراً حين التقينا في الطريق ، فلماذا هذا التحفظ في الكلام الآن؟ ثم تذكرني انك جئت لتسأليني احساناً».

«ليس منك . بل من شخص آخر ، ربما هو لم يعد حياً ، والدك ربما . او...».

«عمي . انه الآن في غرفته في الطابق الثاني».

«اذن هل استطيع مقابلته رجاء؟».

«كلا ، بامكانك مناقشة اي موضوع تودينه معي . واذا كان الأمر يتعلق بهذه الرسوم ، كأن ترغبين بيعها مثلاً ، فأؤكد لك مقدماً انك تضيعين وقتك هباء».

«كلا ، لا انوي ذلك اطلاقاً».

قالت وهي تحديق في اماكن معينة في الجدار ، بدا واضحاً ان رسوماً ما كانت معلقة فيها فيما مضى .

وكان هو يراقبها ثم قال :

«انت على حق ، كانت هناك رسوم معلقة هنا يوماً ما ، وكانت

اكثر قيمة من رسوماتك هذه».

«اعترف ان الرسوم هذه ليست افضل اعمالها ، لكن لها قيمتها الخاصة عندي . او ان هذا على الأقل ما اعتقده ، والا لما حضرت الى هنا».

«لماذا ، هل تناسب بيوتاً معينة؟ اذا كان الأمر كذلك فكان الأجدر بك ان تبذلي جهداً اكبر في رسمها».

«كلا بالطبع . لأن التي رسمتها ، وهي امي ، لاورا كير سلاك ، قد عاشت هنا . كان هذا البيت بيتها حين كانت فتاة . وتريفينون

عائلتها . العائلة الوحيدة لها حتى تزوجت من ابي . اوه ، اعرف انها فقدت الصلة بكم جميعاً ، لكن...».

«هل هي التي بعثك؟».

اعترضها ببرود . هزت رأسها وابتلعت ريقها قائلة بأسى :

«لقد ماتت منذ سنوات».

«أنا اسف».

قال بلا مبالاة وكأنه يؤدي واجباً ثقيلاً .

رفعت مورويانا رأسها وحدقت في وجهه بغیظ. وقالت بصوت خفيض:

«انني سعيدة لانها لا تسمعك الآن، وانها ليست حاضرة لكي تعرف كم هم غير اوفياء اولئك الذين احببتهم».

«انت سريعة الحكم على الآخرين. لقد قلت انها فقدت الصلة بنا. لم يخطر لك يوماً ان تسألني نفسك، لماذا؟ لست ادري الى اي حد حدثت عن حياتها هنا، ولكني اقسم انها لم تخبرك بمدى الخراب الذي تركته هنا حين رحلت».

«انت تكذب!».

«ولماذا الكذب؟ قد يكون ما قلته مر المذاق لكنه الحقيقة».

ظلت مورويانا تحدق فيه بدون ان تجرد ما تقوله، بعد فترة صمت قصيرة، بدأ هو الكلام ثانية وسألها:

«وماذا عن ابيك، السيد روبرت الأنيق، هل هو يعرف بمجيئك الى هنا؟».

«لقد مات هو الآخر. وشقيقي مارتين ايضاً. قتلا في حادث سيارة قبل اسابيع قليلة. وجميع ممتلكاتنا انتقلت الى ابن عمه. وهذه الرسوم هي كل ما بقي لي».

«يا الهي، اذن هذا هو الموضوع. قصة والدتك نفسها تتكرر ثانية. قبل خمسة وثلاثين عاماً وجدت امك هنا ملاذاً لها، واليوم تحاولين انت الشيء نفسه».

قال هذا بهدوء وهو يهز رأسه. نبرة الازدراء التي كانت في صوته، جعلت مورويانا تفقد صبرها تماماً، وهمت بأن تهجم عليه وتنشب اظفارها في لحم وجهه الأسود، لكنها تمالكت نفسها وقالت:

«انك سريع الحكم ايضاً. اعترف بأنني قصدتك باحثة عن ملجأ،

ولكن ليس لي بالذات بل لهذه الرسوم. فكرت بأنك ستحتفظ بها عندك حتى اعثر على مكان لنفسني. وظننت انك لو لم تفعل هذا من اجلي، فعلى الأقل ستفعله من اجل امي. وها انا الآن قد اكتشفت خطأ ظني».

اطلق ضحكة قصيرة وقال:

«اذن هذا هو الاحسان الذي جئت تطليبه. يؤسفني ان اقول انني لا استطيع تلبية لك. ما يزال في هذا البيت اناس مستسبب لهم اثاره ذكرى امك بهذه الصراحة الماكبراً. عمي واحد منهم، وهو مريض منذ سنين، وافضل ان لا ينزعج بسبب هذا الموضوع».

لم تصدق ما سمعته بأذانها الا بصعوبة. ترى ما الذي حدث هنا خلال تلك السنوات؟ لا يمكن لشيء ان يشوه ذكريات لاورا كير سلاك عن دومنيك تريفيونون.

شعرت فجأة انها ترتعش. وقالت وهي تخرج صوتها بصعوبة:

«لا اعرف ما الذي جرى ويجري هنا. ولكن كل ما استطيعه هو ان اغادر حالياً، وان اعتذر عن تطفلي».

حملت حقيبة الظهر من جانب المقعد وسارت نحو الباب. لكنه ابتعد عن الطاولة واعترض طريقها قائلاً بنبرة حازمة:

«انتظري لحظة، ليس الأمر بهذه السهولة التي تتصورينها. ما الذي كنت تبغينه بالضبط من مجيئك الى هنا؟».

«كنت ابغي شيئاً قليلاً. ان ادع هذه الرسوم هنا. هذا كل ما كنت ابغيه. لكن يبدو ان هذا اكثر مما يمكن لغريب ان يطمع فيه».

«يا له من استعطاف. ولكن لماذا لم تكتفي او تخبرني مقدماً قبل وصولك؟ ثم هل تتصورين انني تأثرت برواياتك هذه؟ انه لم يعد، لسوء الحظ، ايواء المشردين من اهتمامات عائلتنا، وامك هي سبب

ذلك».

ان تصدق قصتي او تكذبها، هذا شأنك. ولكن ما قلته هو الحقيقة».

«هل تحاولين اقناعي بأنه لم يرد ببالك ابداً، انه ربما ستجدين مأوى لك هنا؟».

«لا اقدر ان انكر ذلك».

نظرت مورويانا اليه. كانت نظراته غريبة، وكأن اعترافها قد ادهشه. وفكرت ان هذا كان كل ما يود سماعه منها. سارت مرة اخرى نحو الباب، لكنه لم يتحرك من طريقها. ومرت من جانبه، وما ان مدت يدها الى المقبض، حتى انفتح الباب فجأة بقوة، فتراجعت الى الوراء خطوة وهي تطلق صيحة خوف.

«انا اسف...».

قال الشاب الذي دخل وهو يتأملها بنظرة قلق. ثم اضاف: «هل صدمك الباب؟ لم اعرف انك تقفين وراءه. فكرت ان دوم وحده في الغرفة...».

«الآنسة ستغادر الآن».

قال دومنيك بلهجة باردة.

«حقاً؟ هذا مؤسف. هل تعيشين الى جوارنا؟».

سأل الشاب بدون ان يخفي خيبته.

«اعيش في لندن».

قالت مورويانا وقد داخلها شعور بالخوف والقلق من ترك البيت في مثل هذه الليلة العاصفة. لو استطاعت ان تقضي ليلتها هذه تحت هذا السقف، اذن لتدبر امرها غداً. لكنها كرهت الفكرة، ورغبت فعلاً بترك هذا البيت المظلم الواسع، وهذا الرجل الذي

يتمتع باذلالها، ورغبت ان تعرف ما حدث في هذا البيت حين كانت امها هنا.

تكلم الشاب ثانية قائلاً:

«حسناً، اذا كان لا بد من ذهابك. فكوني حذرة في قيادتك. هناك شجرة واقعة على الطريق. شاهدت جاك وهو يزججها، لكن ربما هناك اشجار اخرى ايضاً».

«لا املك سيارة. اعتقد انه ما زالت هناك باصات في الشارع الرئيسي».

«نعم ولكن عددها قليل، ويتأخر وصولها عادة».

تأملها الشاب طويلاً، ثم نظر الى وجه دومنيك، بينما كان هذا يستمع الى الحوار وعلى شفثيه ابتسامة باردة. سأل الشاب:

«ما الذي يجري هنا يا دوم؟ هل تتركها حقاً تسير كل هذه المسافة حتى الشارع العام في مثل هذا الليل، وفي البيت ست غرف نوم فارغة؟».

فقالت مورويانا:

«اوه من فضلك، لا بد ان اعود. فعندي اشغالي».

«اذن دعيني آخذك بسيارتي».

قال بابتسامة حنونة ادخلت الدفء اليها رغم ما يحدث. ثم اضاف:

«اين تسكنين؟ في القلعة، في بورت فينور؟».

«كلا. في الحقيقة اسكن مع بعض الاصدقاء. ولا داعي لان تزعج نفسك في هذا الليل».

«ابداً... ابداً. قل لها يا دوم بأنها لا تسبب لنا اي ازعاج. لماذا نقف هكذا؟ ما الذي حل بك؟ هل ستتركها تخرج من البيت في مثل

هذا الليل؟»

رفع دومنيك تريفينون حاجبيه، وقال ببرود:

«الآنسة كير سلاك قادرة على تدبير أمورها. إنها شابة ناضجة.

ولا اظن ان هناك داعياً للقلق بشأنها».

«من... آنسة كير سلاك؟»

«اظن انك سمعتني جيداً. والآن اعتقد ان الوقت قد حان لان

اعرفكما ببعضكما. آنسة كير سلاك. هذا اخي الصغير مارك».

«اظن ان عليّ، بعد ان عرفتني، ألا انتظر منك ان تأخذني

بسيارتك».

«أبدأ بالعكس. سأأخذك اينما تشاءين...».

سارت نحو الصالون بدون كلمة اضافية، حاملة حقيبتها، ولحق

بها مارك ثم سارا باتجاه الباب الرئيسي.

قالت مورينا:

«أسفة على كل ما حدث. كنت اجهل ما جرى هنا، حتى هذا

المساء حين عرفت ان هناك صدماً بين العائلتين».

قال ميتساً وهو يدير محرك السيارة:

«لا بد انها كانت صدمة غير متوقعة لك».

«الحقيقة انني ما زلت اجهل تماماً ما ارتكبته امي هنا. تحدث

شقيقك السيد تريفينون عن البؤس والخراب. اني اجد صعوبة في

تصديق ان كلانا كنا نتحدث عن الشخصية نفسها. كنت مجرد طفلة

حين ماتت امي، لكنني لا اذكر ابداً انها كانت انسانة مدمرة.

بالعكس كانت دافئة، مبدعة، محبوبة من الآخرين».

«ربما كان ذلك اساس البلاء».

«ماذا تعني بذلك؟»

«اوه لننسى الموضوع. لا فائدة من نبش الماضي. انا آسف اذا كان

دوم قد عاملك بقسوة، واظن انه لا يستحق لوماً على ذلك. فالأمر لم

يكن سهلاً عليه، وان وصولك نكاً جراحه من جديد. وبالنسبة لماذا

جئت الى هنا؟».

«أردت من اخيك ان يحتفظ عنده لي ببعض الرسوم».

تأملها بنظرة جانبية حادة، قائلاً:

«هل تعنين بعض رسوم والدتك؟».

«نعم...».

اطلق صغيراً حاداً من بين شفتيه وقال:

«يا الهي. ان هذا حقاً استفزاز. انه اشبه بانثارة عش للنحل!».

«ولكن لماذا؟».

سألت مورينا وعلى وجهها ابتسامة حزينة. ثم فجأة التفتت اليه

ورفعت يدها متوسلة:

«اوه يا الهي... انني آسفة. هل تستطيع ان تعود بي الى

البيت؟».

«لماذا بحق السماء؟».

سألها مارك مستغرباً، ووقف السيارة. فقالت:

«لقد نسيت الرسوم على مكتب شقيقك».

تأملها مارك للحظات ثم قال:

«في الحقيقة لا انصحك بالعودة ثانية الى هناك».

«لا احتاج الى نصيحتك. انا ايضاً لا اود الاقتراب من ذلك

البيت. لكنني اريد رسومي».

«اسمعي يا عزيزتي، سأوصلك الى المكان الذي تقصدينه، اما

الرسوم فسأجلبها لك صباحاً. ما رأيك؟».

هزت موروينا رأسها غير مقتنعة، وقالت:

«افضل اخذها الآن. لكن يبدو انه لا خيار لي».

«سأجلبها لك غداً صباحاً. هذا افضل، صدقيني».

قال هذا وحرك السيارة.

«لم اكن اعرف انني منبوذة بهذا الشكل».

«كلا، لست كذلك. ليس الذنب ذنبك...».

خيم الصمت بينهما لفترة، ثم سألها مارك:

«هل تعرفين شيئاً عن موضوع الزورق؟».

«كلا... اي زورق؟».

«حسناً، هل سمعت امك وهي تردد اسم الليدي لاورا؟».

«لا... ان اسم امي هو الليدي كيرسلاك، وليس...».

«كلا... كلا. الليدي لاورا ليس اسم شخص، وانما هو اسم

زورق، صممه العم نيكولا. فقد كان في البحرية، وحين عاد منها

بعد الحرب اقنع والدي بتأسيس مشروع لصناعة الزوارق. وكان

اسم النموذج الذي صممه للانتاج هو الليدي لاورا، باسم امك.

في اية حال لا اريد ازعاجك بتفاصيل هذا الموضوع».

«لم تحدثني امي عن اي شيء من هذا القبيل. كانت تحدثني عن

تريفينون واهله دائماً. كانت ذكرياتها جميعاً سعيدة».

سألها مارك مستغرباً:

«اهذا صحيح؟ يبدو انها كانت قادرة على خداع النفس ايضاً».

«كيف...؟ بالله عليك، هلا اخبرتني بما جرى هنا... وماذا

ارتكبت امي؟».

«آسف اذا كانت القصة مؤلمة، لكنك تريدون معرفة الحقيقة.

حسناً. حين جاءت امك لاورا ورنذر، التي اصبحت فيما بعد لاورا

كيرسلاك، الى تريفينون استطاعت في وقت قصير ان تفتن الناس

جميعاً وتكسبهم وبيوتهم، ومن ثم استعمال هذه العاطفة

ضدهم. انظري مدى معرفتي بطبيعتها مع العلم انني لم اكن قد

ولدت بعد حين جاءت هي الى هنا. لقد تركت تأثيراً كبيراً على كل

واحد هنا. وما زلنا نعالج من آثار معاملتها تلك، نفسياً ومادياً».

وهمست موروينا... تحدث نفسها، وهي تحديق فيه بدهشة:

«نعم نتحدث عن الشخص نفسه. لقد نشأت هنا ورافقت

خطوات تأسيس مشروع الزوارق، وحين هربت، تركت العم

نيكولا رجلاً عطفاً، والمشروع خراباً. هل تعرفين بانها كانت في

مسيلها الى الزواج من العم نيكولا؟».

«كلا، ظننت ان ابي هو الرجل الوحيد في حياتها».

هز مارك كتفيه قائلاً:

«ربما كان كذلك. لكنها ارادت العم نيكولا في السلسلة ايضاً.

لقد اراد ان يكون الزورق (ليدي لاورا) هدية زواجها. يعرف

الجميع هنا انها كانا على ابواب الزواج حين ظهر والدك على مسرح

الأحداث. لقد جاء الى هنا لقضاء عطلة، فالتقيا. وكان يزور البيت

بشكل منتظم ويلقى الترحيب من الجميع، ولم يدرك احد ان هناك

شيئاً ما يجري بينهما، حتى فرا معاً. وليس هذا كل ما في الأمر، فحينما

ذهب العم نيكولا الى المصنع، وجد ان تصميم الزورق (ليدي

لاورا) قد اختفى من مكتبه».

«وتعتقد ان امي... او، انني لا اصدق».

«والعم نيكولا لم يصدق الأمر في البداية ايضاً، لكنه اكتشف ذلك

بعد فترة قصيرة، حين ذهب الى معرض الزوارق، وهناك شاهد

زورقه نفسه (ليدي لاورا). وبالطبع لم يكن يحمل الاسم نفسه الا انه

كان زورقه. لكنه لم يستطع ان يثبت بأن هذه نسخة مزورة من زورقه. غير ان مدير المبيعات ضحك كثيراً ونصحه ان يكون اكثر حذراً حين يختار صديقاته.

«يا الهي... وماذا حدث بعد ذلك؟»

«افلست الشركة، فاضطر ابي الى بيع اراضيه ليسدد الديون. لكن ما هز العم نيكولا، هو ان كل ما جرى له انما كان من امرأة احبها جداً، لذلك لا تلقين الترحاب في هذا البيت.»

قالت مورويانا بعد صمت طويل:

«لا اصدق ذلك... انها لم تكن من هذا النوع، ويستحيل ان تعيش كل هذه السنوات بدون ان يبدر منها شيء يثبت هذا السلوك الذي تتحدث عنه، الا اذا كنت تعتقد ان والدي كان شريكها، وانه هو الذي دفعها الى ما فعلت.»

«في الحقيقة لا نعرف الدور الذي لعبه والدك في الأمر. لكن ما زاد الطين بلة هو ان والدك كان خاطباً لفتاة في المنطقة، وكانت الفتاة صديقة العائلة فتصوري الفضيحة التي وقعت في منطقة صغيرة مثل هذه.»

شعرت مورويانا كأنها تحت وطأة كابوس ثقيل. غير انها سيطرت على اعصابها المتوترة، وتشبثت بما تؤمن بأن والديها لا يمكن ان يرتكبا مثل هذا الفعل. وقالت بعد تردد:

«لقد فهمت كل ما حدثتني به يا مارك، وحاولت جهدي لأن اصدقك، لكن بدون جدوى. لا استطيع ان اصدق ان المرأة التي اذكرها، وكذلك والدي، يرتكبان مثل هذه الفعلة. ربما انها احبا بعضهما، والناس عادة ينجرфон مع عواطفهم، لكن لا يمكن ان يقدموا على بيع اسرار وتصاميم شركة الزوارق. لا اظن ذلك.»

«لكن الشواهد كلها اثبتت انها فعلاً ذلك. او على الأقل هي فعلت.»

«وكيف حكمت ان هذه الشواهد ثابتة؟ هل اتصل احد بأبي واستوضحها الأمر؟»

«كلا، لا احد من العائلة رغب في التحدث اليها، او حتى رؤيتها. ولم يسمح العم نيكولا لأي احد ان يدخل الغرفة التي كانت تستعملها. لقد اقلعها منذ ذلك الوقت واحتفظ بمفتاحها. واطن انه دخلها مرة او مرتين قبل ان يقعه المرض.»

«ماذا يعاني؟»

«اصيب بجلطة قلبية، ادت الى شلل جزئي، لكنه من حسن الحظ تغلب عليها وما زال يعالج. ان دومنيك لم يسمح لك برؤيته لأننا لا نريد ان نجازف ونعرضه لصدمة اخرى بعد كل هذا الزمن.»

اوقف مارك السيارة الى جانب الطريق العام وقال لها:

«والآن، قلت انك تبقيين مع بعض الاصدقاء. اكان ذلك صحيحاً ام مجرد عذر لانقاذ ماء الوجه؟»

عضت مورويانا على شفتها وقالت:

«عندي مكان اذهب اليه. سأنزل هنا، وحين استقر سأتصل بك حتى تبعث لي بالرسوم.»

«حسناً. وانني آسف لكل ما حدث.»

«انا آسفة ايضاً.»

قالت ذلك ثم انزلت حقيبتها. وظلت تراقب السيارة حتى اختفت تماماً.

سرت في جسدها قشعريرة برد وخوف. انها الآن وحدها وعليها

ان تعثر على بيت بيدي، الفتاة التي التقتها في موقف الباص، عليها

تؤويها هذه الليلة.

انتظرت بعض الوقت، وحين يئست من وصول الباص، واشتدت برودة الجو، قررت الذهاب الى بيت صديقتها مشياً. فحملت حقيبتها وسارت.

سمعت صوت محرك سيارة فظنت انه الباص. ورفعت يده مؤشرة بالتوقف. لكنها تجاوزتها ووقفت على بعد قصير منها. كانت سيارة خاصة فيها شخصان، اغلب الظن انها زوجان. اطلت المرأة برأسها من النافذة وصاحت بها:

«الى اين تريدان الذهاب؟»

«الى سانت ايتا...»

«حسنأ سناخذك الى هناك».

نزل الزوج وعاونها في وضع الحقيبة في صندوق السيارة. في هذه اللحظة توقفت سيارة اخرى الى جانبهم. ونزل منها سائقها واتجه نحوهم. لكن ما ان رآته موروينا حتى اصابتها الدهشة والخوف. كان ذلك دومنيك تريفينون.

قالت متوسلة الى السائق الذي كان قد انتهى من وضع حقائبها في السيارة:

«لنذهب بسرعة من فضلك...»

«ماذا حدث؟»

«لا شيء... لا شيء، فقط اسرع».

لكن دومنيك وصل اليهم وصاح بها:

«الى اين تفرين يا آنسة؟»

حدقت في وجهه لحظة وقالت:

«وماذا يهمك مني؟»

تجاهلها واخذ يتحدث الى الزوجين المندهشين:

«آسف لما حدث. سأخذها الى البيت».

وقبض على ذراعها بقوة، لكنها استطاعت ان تفلت من قبضته. وقالت:

«ماذا تريد مني، هل انت مجنون؟»

والتفتت الى سائق السيارة، وقالت له متوسلة:

«من فضلك لا تتركني معه. لا اعرف ماذا يريد مني. انه رجل غريب».

وبخها دومنيك بعنف قائلاً:

«كفى تصرفاً مثل الصغار الحمقى. هيا الى السيارة. ولا داعي لكل هذا المشهد السخيف».

«لن اعود الى بيتك ثانية بعد ان طردتني».

ثم اتجهت الى الزوجين قائلة بتوسل:

«لا اريد الذهاب معه. انه غريب عني ولا يعرف حتى اسمي. اسألوه اذا كان يعرف اسمي».

كان الزوجان يراقبان المشهد بحيرة واستغراب، ثم تقدم الزوج من دومنيك قائلاً:

«يبدو ان الأنسة على حق. هل تعرف اسمها؟»

«اسمها موروينا...»

قال دومنيك بهدوء وهو يتسهم. حدقت موروينا بوجهه في دهشة، وشففتاها ترتجفان من الغضب والخوف، وسألته بحق:

«ولكن من اين عرفت اسمي؟ لم اخبرك به، ولم اخبر حتى مارك. كيف عرفت؟»

انزل الرجل الحقيبة من السيارة وهو يضحك. واخذ دومنيك

الحقائب وقادها من ذراعها الى سيارته.

سارت معه شاعرة بغضب واذلال كبيرين. وقالت له وهما في السيارة:

«لن اغفر لك هذا. اقسم انني سأنتقم منك. وستأسف كثيراً على ما فعلته بي».

«انني آسف الآن. آسف لانني آخذك الى هناك. لا لأنني اود رؤيتك في بيتنا، لكن يبدو ان لعبتك قد نجحت، وان عمي يريد رؤيتك الآن».

«عمك؟ ولكنك قلت...».

«اعرف جيداً ما قلته...».

قاطعها، وهو يخرج يده من نافذة السيارة محيياً الزوجين وهما يتبعدان بسيارتهما. ثم استمر قائلاً:

«لقد اخفيت الأمر عن عمي، لكن يبدو انك ذكية. تركت تلك الرسوم على مكثبي عن قصد، ورأتها انيز...».

«معذرة، لقد نسيت الرسوم هناك، ولم اتركها عمداً».

«تعرفت عليك انيز حين شاهدت الرسوم».

«لم اكن اقصد ذلك. كنت مضطربة. لقد نسيتها هناك، الم يخبرك مارك؟».

«اوه، لقد اخبرني. يبدو انه افتتن بك. ربما وجدته سهل المنال

بعض الشيء». لكنك ستجدينني اكثر صعوبة منه».

«انه اكثر ادباً ولطفاً منك...».

«يبدو انك احببته ايضاً...».

«من حسن الحظ، لا ارجب في المحاولة، وكما قلت لك لست راغبة في رؤية بيتك مرة اخرى. كم اود لو انك جلبت تلك الرسوم

معك، اذن لتركنتي هنا اذهب الى سبيلي».

«هذا ما حاولت فعله. لكن رسومك اللعينة لم تعد معي. انها الآن مع عمي وهو يريدك».

«اظن ان هذا آخر ما تريده انت...».

«نعم في الحقيقة. لكن انيز حين رأت الرسوم اخذتها مباشرة اليه».

«ولماذا فعلت ذلك؟».

«هل تحاولين اقناعي بأنك لم تدفعيها الى ذلك بشكل غير مباشر؟».

«بالطبع لا، يجب ان تصدقني... اتخنى ان لا تسبب تلك الرسوم

اي اذى له».

«كلا من حسن الحظ. لكنه يريد ان يراك».

«ساد صمت طويل الى ان قطعتة مورويانا قائلة:

«لا اريد رؤيته من فضلك».

«ولماذا؟ الم تأت الى هنا لهذا السبب؟».

«لكن لم اعرف ان الأمور تجري بهذا الشكل».

«هل لأن مارك اخبرك بالقصة، فتغيرت الأمور عندك؟ اذا كان

عمي يريد رؤيتك لبرهة فأظن ان من الانصاف تلبية طلبه».

«قالت له وقد وصلا الى البيت:

«ولكن من اين عرفت اسمي؟».

«اجاب بسخرية:

«مجرد تخمين. مورويانا اسم من ترفينون، ويبدو ان لاورا

كيرسلاك سرقتة ضمن ما سرقت».

«نزلت من السيارة وسارت معه بدون كلمة».

كانت انيز واقفة تنتظر في الصالة بلهفة. وحالما دخلت احتضنتها
قائلة:

«اوه يا ابنة لاورا! كيف لم اعرفك يا عزيزتي؟».

صاح دومنيك بها:

«انيز! دعي العواطف الآن. سأقول لك بعض كلمات فيما
بعد».

تركت انيز مورويينا. وقالت له:

«لم يكن من الانصاف ان تكون ابنة السيدة لاورا هنا، بدون ان
يعرف السيد نيكولا بذلك».

«حسناً لقد عرف الآن. والفضل يعود لك. فها خذها اليه».

«سيرها غداً في الصباح انه نائم الآن».

«نائم!! الأنسة كير سلاك لا تستطيع الانتظار الى الغد، فهي
تريد ان تلتحق بقطار الصباح الذاهب الى لندن».

«لا يمكن فعل شيء الآن. كان متعباً وتناول حبة منومة. وهو
مستغرق الآن في نومه».

«فهمت. اذن لا داعي لأن اطلب منك تهيئة غرفة للأنسة كير
سلاك».

«بالطبع. فغرفتها جاهزة. هي الأخرى متعبة بالتأكيد... تعالي
يا عزيزتي معي...».

كانت مورويينا تتمنى لو انها نامت في مكان غير هذا البيت. لكن
تعبها كان فوق طاقتها، فمشت وراء انيز الى الطابق الثاني. ودخلت
الى غرفة واسعة. كان الفراش مهيباً والنار في المدفأة تشيع الدفء في
ارجاء الغرفة. وعلى فراشها كان هناك ثوب نوم من الطراز القديم.
وحين رفعته الى وجهها، اجهشت في بكاء عنيف، لكن انيز

احتضنتها مرة ثانية وهي تقول:
«اهدأي يا عزيزتي... نامي الآن بهدوء، انت متعبة، سيسير
كل شيء على ما يرام غداً».
لكن مورويينا، وهي في الفراش، فكرت ان الأمور ربما ستؤول
نحو الأسوأ في الغد.

لكنها صممت على ان لا تسمح له بأن يطعن بوالديها امامها. لقد سمعت ما يكفي من الاهانات توجه اليهما. ربما جرحت لاورا وزوجها مشاعرهم، بيد ان هذه ليست جريمة تستحق كل هذا التجريح والظعن.

ارتدت ثيابها ومشطت شعرها وتركته ينساب على كتفيها. كانت الساعة العاشرة حين نزلت الى الطابق الأرضي. وكانت الابواب كلها مغلقة باستثناء باب مكتب دومنيك. لكنها لم تشعر بأية رغبة في رؤيته.

وقفت عند نهاية السلم وهي تتلفت فيما حواليتها بارتباك، ولم يطل انتظارها كثيراً، اذ سرعان ما انفتح الباب الرئيسي وهجمت موجة هواء بارد الى الصالة، ثم دخل كلبان كبيران اخذاً ينبحان بصوت عال حينما انتبها اليها. جمدت مورويانا في مكانها، لكنها هدأت بعض الشيء حين دخلت فتاة طويلة ورشيقة ذات شعر اسود مسرح بعناية، وثياب انيقة منسجمة مع تقاطيعها. وتوقفت في مكانها اذ رأت مورويانا واخذت تحديق فيها بدهشة. ثم سألتها:

«من انت؟»

همت مورويانا ان ترد عليها بأن هذا ليس من شأنها. لكنها تمالكت نفسها وهي تفكر في مخاطر مثل هذا الجواب خاصة وقد بدت الفتاة واثقة من نفسها ومن مكانتها في البيت.

«اسمي مورويانا».

اجابتها بايجاز وهدهو. وحين طال الصمت والفتاة ما تزال تحديق فيها، سألتها مورويانا:

«اهي كلاب شرسة؟»

«لا تخافي فهي لن تؤذيك. لكنها استفزت حين رأتك غريبة عن

٤ - الحب بعد صفقة!

حين استيقظت من نومها، كان ضوء ضعيف وشاحب يتسرب من خلال ستارة منفرجة جزئياً. ظلت متمدة في فراشها بعض الوقت، مضطربة، مشوشة الفكر، لا تعرف اين هي، حتى عادت الى نفسها. ورغم انها نامت جيداً في الليل، الا انها ما زالت لا تعرف الهدوء وراحة البال، لأنها ستقابل نيكولا تريفينون.

تركت فراشها وذهبت الى الحمام، ودخلت في حوض الماء الدافئ وهي تفكر لماذا طلب نيكولا تريفينون رؤيتها. وايقنت من حديث مارك في الليلة الماضية، انها اخر شخص على وجه الأرض يود السيد تريفينون رؤيته. وتساءلت بقلق:

«تري ما الذي سيقوله لي حين نتقابل بعد برهة؟»

هذا البيت.

«هل تدليني الى غرفة السيد تريفينون، من فضلك؟».

«السيد تريفينون؟».

سألت الفتاة باستغراب، وازافت:

«انني في الحقيقة...».

«حسناً كارين. سأهتم أنا بأمرها».

قاطعها دومينيك وقد ظهر من غرفته واقترب منها. حدثت فيه مورويونا جيداً. كانت هذه هي المرة الأولى التي تشاهده في وضوح النهار. كان يرتدي بدلة انيقة وبدا وجهه هادئاً وودوداً.

وقال بصوت عطوف:

«صباح الخير، آسة كيرسلاك. اتحني ان تكوني غمت جيداً. هل تناولت فطورك؟».

«كلا... اظن انني تأخرت على الفطور».

«بالعكس. هل تظنين اننا تركناك بلا فطور. انيز في غرفة الطعام وقد اعدت كل شيء».

وفتح احد الابواب مؤشراً الى مورويونا بالدخول. تبعته قائلة بدون ان تنظر في وجهه:

«شكراً لك...».

«حين تنتهين من فطورك، ستأخذك انيز الى عمي».

«حسناً، وكيف حاله هذا الصباح؟».

«انه في حالة جيدة. فقد سأل عنك حالاً استيقظ من نومه. يبدو انه كان قلقاً من انني لن اقدر على اقناعك بالعودة الى البيت».

«يبدو انه لا يدرك قدرتك على الاقناع».

«شيء آخر ارجوه منك. حاولي جعل مقابلتك معه قصيرة قدر

الامكان».

«لا تقلق، فرغيتي في ترك هذا المكان بأسرع وقت، لا تقل عن رغبتك».

دخلت مورويونا. وسمعت باب الغرفة وهو يغلق. ثم سمعت صوت الفتاة الاخرى وهي تسأل:

«يا حبيبي من هي هذه الفتاة؟».

اذن هذه الفتاة حبيبته. وربما خطيبته. ترى هل هناك امرأة على وجه الأرض يمكن ان تعجب به. فكرت مورويونا. ثم حاولت ان تتذكر فيما اذا كانت الفتاة تلبس خاتم خطبة. لكنها فشلت.

دخلت انيز وهي تحمل صينية كبيرة. وهتفت حالماً شاهديها:

«ها انت اذن يا عزيزتي. تعالي قبل ان يبرد فطورك».

وبينما هي تتناول فطورها، قالت لانيز:

«اظن انه كان من الأفضل لو لم تأخذي تلك الرسوم الى السيد تريفينون».

نظرت انيز اليها وقالت متسائلة:

«ولماذا لا؟ هناك اشياء كثيرة خافية في هذا البيت، يجب ان تنكشف».

«هل يحق لي ان اسأل ما هي هذه الاشياء؟».

«اشياء عديدة ما تزال بدون ايضاح. السيد نيكولا مثلاً قابع في غرفته، حزين على فقدان شيء لم يكن له ابدأ».

«يبدو انك كنت تحبين امي».

«ولم لا؟ بالطبع كنت احبها».

انتهت من فطورها، فصبت لها انيز قهوتها. رفعت الكوب وذهبت نحو النافذة، واخذت تتأمل الحديقة الخضراء والزهور

المتناثرة فيها، ثم وضعت الكوب على المائدة وهي تفكر في العثور على جهاز تلفون حتى يمكنها استدعاء سيارة تاكسي لتأخذها من هنا حالما تنتهي مقابلتها للسيد تريفيون. مشت الى خارج الغرفة، كان البيت غارقاً في صمت غريب، وكأن الجميع قد غادروه وتركوها وحدها فيه. وكانت الغرف مغلقة باستثناء احداها فاتجهت اليها ووقفت امامها، ثم اخذت شهيقاً عميقاً وهي تسمع دقات قلبها من شدة اضطرابها. وطرقت الباب.

«نعم. من؟ تفضل ادخل».

كانت غرفة واسعة ومضيئة، ذات نوافذ واسعة تطل على المرتفعات الصخرية القائمة على البحر. والى جانب نافذة يجلس رجل على كرسي ذي عجلات، وقد غطى ساقيه ببطانية. ابتلعت مورويانا ريقها ثم مشت اليه. وقالت وهي تحاول جهداً لاختفاء ارتباكها:

«السيد تريفيون؟».

ادار وجهه نحوها وتطلع اليها. تفاجأت مورويانا، اذ لم تكن تتوقع ان تجده على هذه الهيئة. ربما كانت تتخيله نسخة اخرى من السيد دومنيك تريفيون، لكن في سن اكبر منه. غير انها بالتاكيد لم تكن تتوقع هذا الرجل بوجهه المرهق وشعره الرمادي الضارب الى البياض، وعينييه اللتين تشعان المأ وهما تتأملانها. كانت هنالك طاولة صغيرة الى جانب كرسيه، عليها رسومها.

قالت بهدوء:

«كنت اجهل حقيقة الأمر حين جئت الى هنا. لم يخبرني احد بذلك. انني اسفة جداً وارجو ان تعذرني يا سيد تريفيون».

قال بصوت خشن متجاهلاً حديثها:

«انت تشبهينها جداً...».

«نعم. كان ابي يقول هذا دائماً».

«الا تتذكرينها جيداً؟».

«كنت في الثامنة حين توفيت. اذكر بعض الاشياء لا اكثر».

«مثل ماذا؟».

صمتت للحظة، ثم قالت وهي تتحدث ببطء وتؤدة:

«كانت تبدو سعيدة وتحب الآخرين، حتى حين اصابها المرض».

وكانت تذكر هذا المكان دائماً - تريفيون واهله - بسعادة وحنين».

سكتت للحظة ثم هزت رأسها قائلة:

«لكن على ضوء ما سمعت، يبدو ان كلامها كان زيفاً».

«كلا...».

قال واغمض عينييه، ثم اسند ظهره الى كرسيه في حالة استرخاء

واردف:

«هذا يثبت صحة ظني في لاورا».

توقف عن كلامه، وساد الصمت بينهما. وظلت مورويانا في مكانها

حائرة ماذا تفعل. هل تأخذ رسومها وتترك المكان. ام تنتظر لترى

ماذا ستكون نتيجة الأمر؟.

فتح عينييه اخيراً، وتطلع اليها ثانية. وقال وهو يؤشر الى كرسيه

خلفها:

«تفضلي بالجلوس. واعذرني لانني لم انهض لاستقبالك. انني

اعاني من ألم في ساقاي، لا أستطيع ان امكث هكذا، علي ان اتعود

على المشي ثانية».

ثم ادار كرسيه الى جهة اخرى و اشار بيده الى طاولة عليها مجموعة

من الأوراق قائلاً:

«بدأت في كتابة تاريخ عائلة تريفينون. وعلى ان انيه. لا بد ان والدتك اخبرتك عن بعض قصص العائلة وأساطيرها».

«ليس كثيراً. لقد حدثني عن طفولتها وصباها هنا».

«لكنها سمعتك مورويانا. كانت تردد دائماً انها لو رزقت بطفلة ستسميها بهذا الاسم. كنت اتخيل ان هذه الطفلة ستكون طفلي. آسف، لا اقصد ايداءك، سمعت بدون شك بما حدث قبل تلك السنوات الطويلة».

«نعم... سمعت».

«لقد احببت والدتك منذ اللحظة التي جاءت الى هنا، وكانت بعد صبية. لكنها لم تبادلني الحب. كانت تعطف علي، وقلت ان هذا يكفي».

«سيد تريفينون...».

«قالت مورويانا، لكنه قاطعها قائلاً:

«نيكولا... سمعي نيكولا. الجميع يدعونني بهذا الاسم، ما عدا لاورا بالطبع. كانت دائماً تدعوني دومنيك. كانت تحب هذا الاسم. لكن ما دام ابن اخي يحمل هذا الاسم، فان استعماله له يسبب الارباك».

«نعم».

«قالت مورويانا بتوتر.

«لم تحبي ابن اخي بالتأكيد».

«قال مبتسماً وازداد:

«اعرف ان استقباله لك كان غير ودي، لكن هذا انتهى الآن يا عزيزتي».

«في الحقيقة، جئت هنا لاسألك ان تحتفظ برسوم والدتي. ثم

علمت بما يفترض ان والدتي قد ارتكبتة. وعوملت بتلك المعاملة الوقحة. والآن وقد قابلتك، وعرفت طبيعتك وسماحتك، قررت ان اهديك هذه الرسوم».

«هز رأسه مبتسماً وقال:

«حسبما سمعت، هذه الرسوم هي كل ما بقي لك من بيتك. الا يكون من الافضل لو انك استمعت الى ما سأقترحه عليك؟».

«ولكن وقتي قصير. علي ان الحق بقطار لندن اليوم. واعدود لكي ابدأ البحث عن عمل».

«تستطيعين ان تمنحيني بعض الوقت. يعرف الله اني انتظرت طويلاً. وقد تمنيت دائماً ان تكون لاورا من ستاتي الى هذه الغرفة. لكن ذلك يبدو اكثر مما كنت اطمح اليه».

«اظن انها كانت ستقابل باستنكار في هذا البيت».

«كلا، ليس الأمر كذلك».

«لقد تأخرت، لا بد ان اذهب».

«كلا، انتظري».

«اعترضها بيده، فتراجعت مورويانا الى مقعدها ثانية. ثم اضاف قائلاً:

«آسف يا صغيرتي. اعرف ان الحيرة قد اصابتك. وانك محقة في ذلك. تستغربين بدون شك لماذا يحقد الجميع في هذا البيت علي والدتك. لكنني آسف على ذلك حقاً. انني اذكرها دائماً باحترام، علماً ان الخطأ ارتكبت بحقي».

«لا اظن ان والدتي ارتكبت خطأ ما في حق احد. لا بد ان هناك التباساً في الأمر».

«ليس هناك اي التباس. سرق شخص ما في هذا البيت،

تصاميم الزورق (لاورا) وبيعها الى شركة اخرى. هل والدتك من فعلت ذلك لا اعتقد.

«ما دمت تعرف ان والدتي بريئة، فلماذا لا توضح هذا الأمر للآخرين؟»

هز نيكولا رأسه بياس وقال بعد صمت طويل:

«حين وقعت هذه الحادثة، كنت متألماً وغاضباً. لقد احببت والدتك وعرضت عليها الزواج، لكنها ماطلت في جوابها، فأفغعت نفسي انني سأفوز بها في النهاية، وتركت الآخرين يعتقدون بأنها ستكون زوجتي. ثم التقت بوالدك، وحين اخبرتني بانها يحب ان يداخل ترفينون ثانية. وفرا معاً في الليلة التالية. ولم ارها ثانية بعد ذلك.»

«ولكن ما الذي حدث بتصاميم الزورق؟»

«لقد اختفت فجأة من المصنع. وظننت في بادئ الأمر ان لاورا اخذتها خطأ لكن حين شاهدت النسخة المزورة من الزورق في المعرض، ايقنت ان احداً ما قد سرق التصاميم وبيعها. وكان شقيقي، والد دومنيك ما يزال حياً آنذاك، فوجه اتهامه اليها.»

«ولكن لماذا لا توقفهم عند حدهم، ما دمت واثقاً من براءة والدتي؟»

«في البداية وافقتهم على اتهام والدتك. لقد حققت عليها لعلاقتها بوالدك، ورغبت في الانتقام منها. وحين كتبت الي رسالتها، لم اخبر احداً بذلك. انيز وحدها عرفت بالأمر لأنها هي التي جلبت الرسالة.»

«هل كتبت اليك؟»

«نعم. كتبت تسألني العفو، وتخبرني بسعادتها مع والدك. وانذاك ادركت انها بريئة. لأنها لو كانت مذنبه لما جرؤت وكتبت الي، خاصة وقد عرفت ان اصابع الاتهام موجهة اليها.»

«ولكن لماذا لا تحاول كشف هذا الأمر للآخرين؟»

قال بعد صمت قصير:

«لو كشفت عن براءة لاورا، لكان ذلك يعني ان شخصاً اخر في هذا البيت قد سرق التصاميم وبيعها. خاصة ان الذين كانوا يعرفون بأمر المشروع هم قلة هنا. لذا أثرت الصمت، وترك اللوم يقع على عاتق لاورا بدلاً من فتح جبهة اخرى من الشكوك والتحقيقات، مع ما يقود اليه هذا الأمر من كوارث. ايقنت ان من كان يحقد على لاورا له يد في هذه الجريمة. وتركت الموضوع ليخمد مع الزمن. لكن اخي ظل يثيره باستمرار بتحريض من زوجته. وعرفت ان هناك اخرين متورطين في هذا الموضوع. فسكت عن الأمر. وبحسنا عن كبش فداء لكي نحمله جريمة غيره. فكان ذلك الكبش والدتك. غير اني بعد ان هدأ غضبي اسفت على ذلك جداً. وخففت الأمر على نفسي بانها لن تعرف بالأمر. وحين لم اجبها على رسالتها، ايقنت بأنها لن تجازف بالكتابة الي مرة اخرى.»

ثم تطلع الى وجه مورينا بحب واستمر في حديثه:

«اذا كنت ترغبين في الانتقام مني نيابة عن والدتك، فانك تستطيعين ذلك ببساطة يا عزيزتي. ان تأخذي رسومك وتركي هذا البيت. وبذا تخرجين من حياتي الى الابد. ولكنني أمل ألا تفعل ذلك.»

ظلت مورينا جامدة في مكانها، وقد خيم صمت عميق لفترة. ثم اطلقت تهيدة قصيرة وقالت:

«كلا لن افعل ذلك. اظن ان ما حدث يكفي».

«اذن متيقين؟».

«نعم. لكن لفترة قصيرة. فعلي ان الحق بالقطار...».

هز نيكولا رأسه بانفعال قائلاً:

«كلا... كلا. لقد اسأت فهمي. اريدك ان تبقي هنا يا

صغيرتي. ليس عندك مكان تذهيب اليه. اريدك ان تعيشي هنا.

وان يكون تريفينون بيتك».

«اوه، كلا. هذا لا يمكن».

«ولماذا لا؟».

«لاسباب عديدة، منها ان ابن اخيك يكرهني، وهو ببساطة لا

يريدني هنا».

«اذا ما رغبت انا في شيء، فليس في مقدور احد ان يعترض».

«ثم انني اريد العثور على عمل لاعالة نفسي. لا يمكن ان اعيش

على الاحسان طوال عمري».

«من الذي تحدث عن الاحسان؟ ثم هناك عمل لك. فانا اريد

من يساعدني في اتمام كتابة تاريخ تريفينون».

«ولكن ليست لدي خبرة في السكرتارية».

«تستطيعين الكتابة بدون شك، اليس كذلك؟ هذا كل ما اريده.

ها انت تشاهدين انني شبه مشلول ولا استطيع انجازة لوحدي.

وحين تنتهي من مسودة الكتاب، سنبعثها الى سيدة في بورت فينور

وهي التي ستطبعها على الآلة الكتابة. حسناً ماذا تقولين الآن؟».

ظلت مورويينا صامتة وعلامات التردد على وجهها. اضاف هو

قائلاً:

«يا عزيزتي. انك ستساعديني كثيراً، ليس فقط في موضوع

الكتاب، انما سيكون بإمكانني البدء بالتحري، وكشف براءة لاورا.

كوفي كريمة وساعديني على العيش بسلام بعد كل هذه السنوات».

لو انها فقط تستطيع الكشف عن براءة امها. وان ترى اهل

تريفينون يعتذرون منها على ما ارتكبه بحقها. لا بد ان تعمل على

اظهار الحقيقة اذا كانت امينة لذكرى امها.

قالت بهدوء:

«حسناً يا نيكولا. سأبقى حتى الانتهاء من الكتاب».

«موافق...».

قال فرحاً ومد يده اليسرى اليها، فوضعت يدها فيها، وقال بعد

توقف قصير:

«لا تظني يا صغيرتي ان مشروع الكتابة مجرد عذر لبقائك،

فستجدينني مديراً حازماً. ولكني اقول ان هذا اليوم من اسعد ايام

حياتي. والان اذهبي وابعثي لي انيز كي اشرح لها ما تم الاتفاق

بيننا. وبعد الغداء سنواصل العمل».

كانت في منتصف الطريق على السلام حين قالت لنفسها: «يا

الهي ما الذي فعلت؟ هل حقاً سأبقى هنا؟».

لكن دومنيك ظهر فجأة من مكتبه، ووقف في اسفل السلم قائلاً:

«حالماً تنتهين يا آنسة كير سلاك، ساخذك بسيارتي الى بنزاس».

«لا ارجب في الذهاب».

قالت بنبرة صارمة وواثقة، وقد ارتسم على وجهها علامات

التحدي.

«عفواً ماذا قلت؟».

«قلت، انا باقية هنا. طلب مني عمك ان اعينه في مشروع كتاب

تاريخ تريفينون. انه بحاجة الى من يساعده في الكتابة».

«يا الهي . لقد نجحت خطتك اذن ، ايتها المتأمرة الصغيرة!» .
قال هذا وقد اصفر وجهه من الغضب . لكن مورينا اجابته
باعتداد وثقة :

«لا تنسَ يا سيد تريفينون ، ان امر اللقاء مع عمك كان من
تدبيرك انت» .

«ليس من طبعي ان انسى اي شيء . حسناً ، لقد شاهدت البيت
يا آنسة كيرسلاك ، وبدون شك ستعرفين خلال الاسابيع المقبلة على
كل املاك تريفينون وما بقي من مشروع الزوارق . ولكن اخشى ألا
تجدي ما تأخذينه معك حين تتركين هذا المكان . . .» .

«أؤكد لك اني قادرة على ذلك يا سيد دومنيك» .
حدق فيها للحظة بشراسة وقد اشتد غيظه ، وقال :
«هكذا اذن . انك حرياء حقاً يا آنسة كيرسلاك . ها انت تحولت
خلال دقائق من غربة في هذا البيت الى حبيبة للعجوز تريفينون» .
«انه انسان طيب وانا سعيدة بذلك» .

«انك تستغلين الوحدة التي يعانها هذا العجوز . الا تشعرين
بالعار من بيع جسدك الى رجل في عمر ابيك؟» .
نزلت مورينا ببقية الدرجات ووقفت امامه ، وبكل ما تملك من
قوة رفعت يدها وصفعته على وجهه .

احست بانها ارتكبت فعلاً احمق . وانها فقدت اعصابها مثل طفلة
صغيرة ، لكنها لم تشعر بأي ندم حين تذكرت والدتها البريئة وكيف
لوث هؤلاء الناس سمعتها الطاهرة . نظرت اليه ثانية فرأت علامات
اصابعها وقد ارتسمت على صفحة وجهه . وقالت بهدوء :
«أني آسفة» .

«ستندمين على هذا يا مورينا . ستدفعين ثمن هذا غالياً . وهذا

وعد مني لك» .

كانت كلماته انذاراً حقيقياً . استدار ومشى خارج الصالة بعد ان
اغلق الباب الرئيسي بعنف . سمعت مورينا بعد برهة قصيرة
صوت محرك سيارة . ثم ابتعد الصوت تدريجياً .
جلست على السلم ، ووضعت وجهها بين راحتيها ، وقالت
لنفسها :

«رباه ، ماذا فعلت؟» .

كي يسردها عليها، أجاها ضاحكاً انه سيفعل ذلك في الوقت المناسب.

حاولت مورينا جهدها ان لا تلتقي بدومنيك. ومن حسن حظها انه واخاه كانا ينهضان مبكرين. وحين كانت تنزل الى الطابق الأرضي يكون الاخوان قد انتهيا من فطورهما وغادرا البيت. اما دومنيك نفسه فقد كف عن اعتراضها او السؤال عنها. وبدا انه قد نسي وجودها في البيت. وفي المساء، حين كانت تنتهي من عملها، وتؤكد من ان نيكولا لم يعد يحتاج اليها، كانت تنزل الى قاعة الجلوس الكبيرة، حيث تكون انيز قد اشعلت المدفأة، فتجلس هناك قبالتها تقرأ وتستمع الى الراديو، وفي احدى الامسيات انضم اليها مارك، فرحبت به. كان أكبر منها بسنوات قليلة، وأصغر من أخيه دومنيك كثيراً. تحدثا طويلاً عن ترفينون وعن العائلة. لكن دومنيك لم يكن يقترب من قاعة الجلوس في الامسيات، بل كان يقضي اوقاته في مكتبه. وتساءلت مورينا: اهذه هي عادته دائماً، ام انه بدأ يتجنب قاعة الجلوس منذ جاءت هي الى البيت، حتى لا يلتقي بها؟ لكنها حسمت الأمر بأن هذا ليس من شأنها ما دام هو لا يقلق راحتها. ذهبت في صباح احد الأيام الى غرفة نيكولا، بعد الفطور، لتبدأ عملها. لكنه اخبرها انه لا يحتاجها اليوم، لأن الطبيب قادم بعد قليل لأجراء الفحوص له.

نظر اليها وقال:

«انت متعبة من العمل. اذهبي اليوم في نزهة قصيرة، خاصة ان الجو صاف، ولا اثر للمطر».

وحين غادرت الغرفة، صاف من وراءها:

«ابقي بعيدة عن البحر، لأن الأمواج قوية وهائجة».

٥ - بلا مقدمات

انغمست مورينا في عملها بحماس، ولم يكن لديها متسع من الوقت لتفكر في نفسها. وكانت سعيدة بذلك. اما نيكولا ترفينون فلم يكن مبالغاً حين وصف نفسه بأنه مدير حازم في العمل. استهلت مورينا عملها بكمية كبيرة من الوثائق والكتب والصور الفوتوغرافية التي وضعها نيكولا امامها. واخبرها ايضاً ان الشطر الأكبر من تاريخ ترفينون واساطيرها انما هو محتفظ ومتناقل في العائلة شفاهاً. والحقيقة انها وجدت تاريخ ترفينون ثرياً وضارباً في القدم. كما انها اطلعت على الكثير من القصص والاساطير المتعلقة بهذه العائلة. واخبرها نيكولا انه ما يزال هناك الكثير من هذه الاساطير في ذهنه، منها مثلاً اسطورة تتعلق باسم (مورينا). وحين الحت عليه

ذهبت الى غرفتها واخذت دفترًا للرسم وعلبة اقلام . وكانت انيز هناك ترتب الغرفة . فقالت لها :

« ما دمت تذهين الى الخارج ، اجلي معك عدداً من البيض ، اذا ما مررت قريباً من حقل السيدة هاريك » .

غمرت موروينا سعادة كبيرة ومفاجئة حين اصبحت خارج البيت ، وكأنها تلميذة صغيرة اطلقوها من المدرسة فجأة . ولم يخامرها هذا الشعور لأنها كانت تكره العمل مع نيكولا ، بل بالعكس ، كانت سعيدة معه . لكنها رأت نفسها وحدها لأول مرة منذ ان جاءت الى تريفينون . وفي هذا سعادة كبرى لها .

اتخذت طريقها الى ناحية البحر مسترشدة بهدير الأمواج . وكانت الرياح قوية ، تنشر شعرها على وجهها . وحين وصلت الى المرتفعات الصخرية المطلة على البحر ، شاهدت الامواج الهائجة وهي تصطدم بالصخور محدثة هديرًا عنيفاً ، وناشرة كمية هائلة من الرذاذ الأبيض . تأملت البحر طويلاً ، وبالرغم من سعادتها بذلك ، الا انها احست بخيبة امل حين لم تلمح اي اثر للفقمات ، تلك الحيوانات البحرية الرمادية اللون . لكنها تذكرت ان هذه الحيوانات ستعود الى هنا مع مطلع العام القادم . لكن هل ستكون هي نفسها هنا في ذلك الوقت ؟

مشت طويلاً فوق تلك الصخور العالية ، وهي تتأمل فيها حواليتها . وبالرغم من انها عاشت سنوات طويلة في الريف ، الا انها احست هنا برهبة وخوف يتسربان الى قلبها ، من الوحدة تحت هذه السماء الشاسعة ، والصخور والبحر وهدير الامواج . وجلست بجانب صخرة كبيرة تستطيع الاحتباء بها من الريح ، وهيات دفترها واقلامها وبدأت في تخطيط بيوت بورت فينور ويقايا المنجم . لكن

الريح الشديدة كانت تعصف بها وتوشك ان تمزق اوراق الدفتر ، وهي تفكر الى اين ستنتهي حياتها والى متى ستبقى في تريفينون . بعد فترة قصيرة انتابها الضجر ، فمزقت الورقة والقتها للريح ، ونهضت لتذهب الى حقل السيدة هاريك لتأخذ البيض وتعود الى البيت . لم تكن تعرف الطريق الى الحقل ، فقررت الوصول الى الطريق الرئيسي أولاً . وبينما هي تسير سمعت صوت محرك سيارة من خلفها فانسحبت الى جانب الطريق ، لكن صوت المنبه لم يكف بالرغم من وجود مكان كاف لعبور السيارة تماماً . كانت سيارة مارك ، فهتفت بها وهو يلوح لها بيده :

« اهلاً . . . هل استمتعت بوقتك ؟ هيا . . . سأوصلك الى حيث تريد » .

بعد تردد قصير اجابته ، وهي تفتح باب السيارة وتصعد : « انني ذاهبة الى حقل السيدة هاريك لأخذ كمية من البيض طلبتها انيز » .

« حسناً ، سأخذك الى هناك » .

بعد دقائق من الصمت سأها مارك ثانية وهو يضحك :

« كيف يسير العمل في مشروع الكتاب ؟ » .

« ببطء . . . ما زال امامنا الكثير من العمل » .

« اوه ، هذا مؤسف » .

اجابته بعد ان تأملته طويلاً ، وهي تبسم :

« لماذا ؟ الاله يعني انني سأبقى في بيتكم مدة اطول ؟ » .

« يا الهي . كلا ، لا اعني هذا » .

« ماذا تعني اذن ؟ » .

« اعني ان عمي رجل مريض ، ولا نريد ان يرهق نفسه كثيراً حتى

لا تتكس صحته، بالرغم من انه يشعر بتحسن كبير هذه الايام.
ونحن نشكرك على ذلك».

«نحن؟».

سألت بدهشة وهي ما تزال تبسم.

«بالطبع. حتى دومنيك. كان اعتراضه على بقاتك في البداية، هو
لخشيتته من ان تسبب رؤيته لك صدمة اخرى له. لكن النتيجة
جاءت عكس ذلك تماماً».

«لكن دومنيك لم يغير مني موقفه حتى الآن».

«تعرفين ان احزان واحقاد كل تلك السنين لا يمكن ان تتلاشى
خلال ايام».

لم تجبه موروينا. وظل هو ايضاً صامتاً حتى وصلا الى مفترق
طريق. فأوقف السيارة وأشار الى طريق الحقل قائلاً:

«ذاك هو حقل السيدة هاريك. وحين تعودين الى البيت هناك
طريق مختصر، أسألي السيدة حتى تدلك عليه».

اخذت موروينا البيض، وحين استفسرت السيدة هاريك عن
سبب وجودها المفاجيء في تريفينون، اعتذرت لكونها يجب ان تسرع
في العودة لأن انيز تنتظرها. وودعتها بعد ان شرحت لها الطريق
المختصر الى تريفينون. وقريباً من البيت تسلفت حائطاً صغيراً،
ودخلت الى باحة كبيرة كان عليها ان تحتازها قبل الوصول الى
البيت. كانت هذه الباحة جزءاً من بناء قديم ملحق بالبيت الكبير،
يحوي مخزن الغلال وادوات الفلاحة التي تعود الى انيز، واصطبلات
كانت تستعمل ايام كانت تريفينون مزدهرة. هناك سمعت صوت
كلب يقترب منها، فانتابها الخوف، رغم انها كانت تحب الكلاب منذ
الصغر، وهرعت الى البناية القديمة. لكن الكلب تبعها الى هناك.

ووجدت نفسها في غرفة واسعة ومظلمة بعض الشيء، فيها معاول
وفؤوس وكميات كبيرة من الحطب والقش. كما شاهدت سلماً خشبياً
يقود الى مخزن علوي. فتسلقت السلم حتى تكون في امان اكثر
هناك. دخل الكلب وراءها وظل عند اسفل السلم ينبج ويقفز،
محاولاً الوصول اليها، كان احد الكلبين اللذين اعترضاهما في الليلة
التي جاءت فيها الى تريفينون. غير انها منذ ذلك اليوم لم تشاهدهما.
وحين سألت انيز عنها، اجابتهما انها غالباً ما يمكثان خارج البيت، في
البناية الملحقة.

ظلت موروينا محبوسة في المخزن العلوي فترة طويلة من الزمن،
وقد جمدت من الخوف، لا تدري ماذا تفعل ولا كيف تبعد الكلب
عنها. وفكرت انه ربما دومنيك هو الذي علم الكلب على معاداتها،
لكنها سرعان ما سخرت من اوهامها.

هذا الكلب، حين سمع صوت اقدام قادمة في الباحة. فهتفت
موروينا من مكانها متوسلة، قبل ان يبتعد العابر من الغرفة:

«من فضلك، هل تبعد هذا الكلب عني؟ انني خائفة».

توقف العابر للحظة، ثم جاء صوت اقدامه وهو يقترب من
الغرفة. ظنت انه زاك يقوم بعمله هنا. لكن سرعان ما التقت عينها
بعيني دومنيك حين دخل الى الغرفة وصاح:

«يا الهي. ماذا تفعلين هنا؟».

«هربت من كلبك».

«انت مجنونة! الا تعرفين انه لا يؤذيك».

«ابعدني عن السلم، حتى انزل...».

«هيا... هيا انزلي، لا تخافي».

قعد الكلب عند ساقي دومنيك، وراح يتمسح به محركاً ذيله. اما

مورينا فقد بدأت في النزول، غير ان قدمها انزلت في منتصف السلم، فاطلقت صرخة قوية وافلتت علبة البيض من يدها. لكن يداً قوية امسكتها من خاصرتها وانزلتها على الأرض. كانت ترتعش من الخوف والانفعال وقد امتلات عيناها بالدموع.
قال دومنيك لها ساخراً:

«ماذا كنت تفعلين؟ تستكشفين خفايا تريفينون؟»

حدقت مورينا في وجهه بغضب، ثمنت لو ان علبة البيض ما تزال في يدها، لتضرب بها وجهه. ثم اجابته بصوت مرتعش:
«كلا... كنت اجلب البيض لانيز من حقل السيدة هاريك». انتبهت فجأة انه ما يزال يمسكها من خاصرتها. فاحست بالحرارة تصعد الى وجهها. وقالت وهي تبتسم من بين دموعها:
«ان كلبك يكرهني».

«ما زلت غريبة عليه، سيعتاد عليك بمرور الزمن».

«انت تكرهني ايضاً... والكلب يحس بذلك».

«اهكذا حقاً؟»

قال مبتسماً وسحبها نحوه واقترب بوجهه من وجهها. فأصابتها الذعر وحاولت ان تفلت من بين يديه، لكن بدون جدوى. وقالت وهي ترتجف بعد ان تخلص منها.
«ما كنت اظن ان هناك ذئاباً مع الكلاب في هذا البيت».
«الا تذكرين انك تمنيت، أن يقع ملك كورنول في هواك؟ ها هي امنيتك قد تحققت».

«لكني اكرهك، ولا اود رؤيتك».

ابتسم دومنيك، وقال وهو يتأمل وجهها مبتسماً:

«اظن انك تعلمت من تاريخ عائلتنا، انه اذا ما احببنا شخصاً

نظل اوفياء له».

«من الأفضل ان توفر عواطفك لامرأة اخرى».

خيم الصمت عليهما، وكانا ما يزالان يقفان في مكانهما بدون حركة. وحين طال الصمت ساءلت نفسها: لماذا امكث معه في هذه الغرفة المظلمة؟

«من فضلك لو شرحت لانيز ما حل بالبيض».

«بل سأذهب الى الحقل واجلب غيره».

«شكراً...»

اجابته وتركت الغرفة. كان الجو بارداً في الخارج، فرفعت ياقة سترتها حتى تغطي رقبتها انقاء للريح الباردة. واحست بحقيقة مرة تستقر في اعماقها شيئاً فشيئاً، هي انه ليس هناك شيء يبقياها في تريفينون سوى حب دومنيك!

«بورت فينور».

لكن انيز تدخلت قائلة:

«لنر ماذا سيقول دومنيك. اظن ان صحتك لم تتحسن بعد، حتى تبدأ في الركض».

ضرب نيكولا الأرض بعصاه. وصاح بها:

«عليك اللعنة ايها المرأة. من قال انني سأركض؟ هل تعتقدين انني سأبقى حبيس هذا البيت حتى الموت؟».

ثم سكت وقد بدا عليه الاعياء التام، واردف قائلاً بعد لحظات:

«لم اتحل بعد عن حوض الزوارق، ولم اتنازل عنه...».

هدأته انيز قائلة، وهي تغادر قاعة الطعام حاملة الأطباق الى المطبخ:

«لا أقصد ذلك. ما اعنيه هو ان تأخذ الأمور على مهل».

قالت له موروينا، وقد اصبحا وحدهما:

«انها على حق».

«لتذهب الى الجحيم. لا بد ان اذهب الى الحوض. هناك شيء اريد جلبه».

«الا يقدر احد ابناء اخيك ان يجلبه لك؟».

«يقدرون بالطبع، اذا ما طلبته منهم. لكنني اريد جلبه بنفسني لأسباب عديدة».

ثم تأمل موروينا بعض الوقت. وقال لها:

«تستطيعين انت جلبه لي. انه ملف اخضر يحمل رقم ب. و/ ٣٣ في خزانة الملفات في مكتب دومنيك».

اجابته موروينا بدهشة:

٦ - حجر في الماء

كان الجميع صامتين أثناء الغداء. وبدا نيكولا مشغول البال. اما موروينا فقد اجبرت نفسها على تناول القليل من الطعام، وكانت منشغلة الذهن هي الأخرى، تستعيد ما حدث لها في الصباح مع دومنيك في تلك الغرفة المظلمة. وشعرت انها بحاجة شديدة لأن تفكر اكثر فيما حدث، وفي الشعور الذي انتابها نحوه. اختلطت نظرة الى نيكولا، كان متعباً ومنهك القوى. وبدا اكبر مما كانت تراه دائماً، وكأنه شاخ فجأة. ربما انبأه الطبيب ان نتائج الفحوصات غير مشجعة. لذا فانها ذهلت حين اعلن بشكل مفاجيء عن نيته في القيام بجولة، بعد الظهر. فسألته مندهشة:

«جولة! أين؟».

«لا أستطيع. افرض ان احداً رأي وانا ابحت في خزانة الملفات؟».

«تجربته بالحقيقة. انك تأخذين الملف بأمر مني».

انتظر جوابها بعض الوقت، وحين ظلت صامتة قال:

«إذا لم تذهبي، فلا خيار لي سوى الذهاب بنفسي».

«كلا، لن نتحمل الذهاب الى هناك. سأذهب انا».

قالت موروينا وهي تضع يدها على يده، محدقة فيه بحنان. ثم سألته:

«كيف سأصل الى بورت فينور؟».

«سأأخذك مارك. فهو يذهب الى هناك، عادة في الساعة الثانية بعد ظهر كل يوم، قولي له انك ذاهبة لشراء بعض الحاجيات».

تناولت سترتها وحقيبتها من غرفتها، ونزلت الى الصالة. كان مارك واقفاً امام الباب يتحدث مع زاك ويقدم له بعض الارشادات. وحين لمحها سأها بدهشة:

«مرحباً موروينا، الى أين؟».

«الى بورت فينور، لشراء بعض الحاجيات. عرفت انك ذاهب الى هناك. هل تأخذني معك؟».

«بالتأكيد سأأخذك».

قال لها مارك في السيارة:

«لماذا لم تخبريني منذ الصباح؟ لو فعلت لكنا تناولنا الغداء معاً هناك».

ابتسمت موروينا، وتأملت طويلاً. كان وسيماً ونشطاً وعلى قدر كبير من المرح والحيوية. وقالت لنفسها: لو كنت في وضع آخر

لعلت معه قصة حب رومانسية ممتعة.

«الآن فقط قررت الذهاب الى هناك».

استمتعت كثيراً بأحاديثه ومزاحه، حتى وصلا الى حوض الزوارق. فأوقف السيارة وقال لها:

«الكثير من المحلات مقفلة الآن، في هذا الموسم من السنة. لكن

هناك محل مفتوح لبيع الصحف والمجلات، وآخر صيدلية. ثم مقهى

جميل يبيعون فيه أيضاً التحف والهدايا. حين تنتهين من شراء

حاجياتك، تعالي الى حوض الزوارق».

شكرته موروينا، وراقبته وهو يتعد بسيارته. ثم سارت في

خطوات بطيئة وهي تتأمل واجهات المحلات، حتى ينقضي بعض

الوقت قبل ان تعود الى حوض الزوارق. وفكرت انه كان بإمكانها ان

تخبر مارك ببساطة حول الملف، وانها جاءت لتأخذه بناء على طلب

نيكولا. لكن نيكولا اراد ان يتم الأمر سرّاً لسبب ما، وعليها ان تنفذ

رغبة الرجل المريض.

عثرت على المقهى الذي تحدث عنه مارك، ودخلت اليه. كان

صغيراً، ليس فيه سوى بضعة موائد، ولم يكن فيه رواد. فجلست الى

احدى الموائد تنتظر مجيء الخادم. ومن خلف الستارة التي كانت

تخجب غرفة داخلية، خمنت موروينا انها المطبخ، تنامت اليها

اصوات نساء واطباق تغسل. ولم يطل انتظارها، وبينما هي تتأمل

قائمة الطعام، انزاحت الستارة، وظهرت فتاة في رداء طويل،

عرفتها موروينا حالاً:

«مرحباً...».

قالت بيدي بابتسامة عريضة، وهي تحمل سلة فيها مجموعة من

الخزفيات.

واردفت:

«جئت بهذه الخبزيات علي ابيع منها شيئاً للمقهى».

«اوه، انا سعيدة برؤيتك يا بيدي. اتشربين القهوة

معي؟»

«بالطبع اكون سعيدة».

«قالت بيدي، ووضعت السلة جانباً، وجلست على المقعد

المقابل. ثم اضافت:

«اخبرت اخي عنك. وكنا نتساءل هل ما زلت في تريفينون؟».

«ما زلت، والحقيقة انني اشتغل هناك».

«تشتغلين؟ لدومنيك تريفينون؟».

«مع عمه. فهو يكتب تاريخ العائلة، وانا اساعده».

«رائع. وكيف هو مارك تريفينون؟».

«جيد، انت تعرفينه؟».

«كنت اعرفه. لكن ذلك انتهى منذ زمن. لم يرض اخوه الكبير

عن علاقتنا. اعتبرني غير ملائمة لعائلة تريفينون؟».

«سكنت بيدي وظلت تحقق في قائمة الطعام ثم اضافت:

«هنالك فتاة اخرى الآن، تبدو ملائمة لهم».

«ماذا تقصدين؟».

«تقولين انك في تريفينون منذ اسبوع. الم تشاهديها

بعد؟».

«الفتاة الطويلة ذات الشعر الأسود؟».

«بالضبط. انها كارين انجلس».

«اجل، لقد شاهدها. سيتزوجها؟».

«ربما سيتزوجها احد الأخوين. خاصة انها ثرية. وعمتها ترغب

في ذلك، بعد ان فشلت هي في الزواج من نيكولا؟».

«وكيف عرفت ذلك؟».

«مارك اخبرني».

«هكذا اذن...».

«قالت مورينا. وسادت فترة صمت بينهما، اخذتا خللاً لها ترتشفان

قهوتهما. ثم قالت بيدي:

«سأكون سعيدة لو جئت للغداء معنا يوماً في سانت اين».

«سأكون سعيدة ايضاً».

«اذن سنكون على اتصال».

«قالت بيدي. وجرعت ما تبقى من قهوتها. ثم نهضت وحملت

سلتها، وودعت مورينا».

«أتريدان ان ابلغ مارك اية رسالة؟».

«كلا، لا ارجب في ذلك في الوقت الحاضر».

«اجابتها بيدي مبتسمة، ثم غادرت المقهى».

«انتهت مورينا من قهوتها. نهضت وحملت حقبيتها، وتركت

المقهى. اشترت خارطة للمنطقة من المكتبة الصغيرة، ثم ذهبت الى

الصيدلية واشترت علبة صابون وزجاجة عطر».

«حين وصلت الى حوض الزوارق، لمحت سهماً يشير باتجاه

المكاتب. فسارت في ذلك الاتجاه على ممر ضيق ومرصوف بشكل

جيد. كانت هنالك زوارق وقوارب صيد عديدة ومختلفة. وقفت

امام الباب الأول، وكان عليه عبارة «الاستعلامات». ترددت في

الدخول للحظات، ثم دفعت الباب. كانت عبارة عن غرفة ضيقة

فيها فتاتان تطبعان على الآلة الكاتبة».

«انني ابحت عن السيد مارك تريفينون».

نهضت إحدى الفتيات، وتقدمت منها قائلة:
«الجميع في اجتماع الآن. اهو ينتظرك؟ اتودين ان تنتظري؟»
ترددت موروينا في الجواب بعض الشيء، ثم اومأت
بالإيجاب.
«حسناً، اذن تفضلي».

قالت الفتاة، وقادتها الى مكتب مارك.
لاحظت موروينا ان كلتا الفتيات تتأملانها بفضول. ربما تحسبانها
عشيقة جديدة لمارك. ومن جانبها تساءلت: هل يا ترى استطاع
مارك الوسيم والمرح ان يقاوم اغراء هاتين السكرتيرتين الفاتنتين؟
كان مكتب مارك صغيراً جداً. ليس فيه غير طاولة للكتابة وبضعة
مقاعد. جلست على احد المقاعد وبدأت تستعيد انفاسها، وتذكر في
الوقت نفسه ارشادات نيكولا. وحين تأكدت من ان السكرتيرة
عادت الى مكتبها. فكرت ان هذا هو الوقت الأنسب لأخذ الملف،
خاصة ان الجميع في الاجتماع الآن. نهضت بهدوء وفتحت الباب،
وسارت وهي تتطلع الى ابواب الغرف، حتى لاحظت عبارة «مكتب
دومنيك تريفينون»، ففتحت الباب ودخلت. ومثلما اخبرها نيكولا،
كانت هنالك خزانة واحدة للملفات. فتحت الدرج الأول، وكانت
فيه مجموعة من الملفات الخضراء، غير ان ايأ منها لم يكن يحمل
العنوان الذي ذكره نيكولا. ثم بحثت في الدرج الثاني، ولم تعثر عليه
ايضاً. وفتحت الدرج الثالث، وهي جاثية على ركبتها، حين
سمعتة يقول من الخلف:

«هل تبحثين عن شيء ما؟».

لم تصادفها في حياتها لحظة كذلك. تمننت فيها لو انها تموت حالياً،
او ان تنشق الأرض وتبتلعها في اللحظة نفسها. نهضت من مكانها،

والتفتت الى الباب. كان هو هناك، يقف امام الباب، واضعاً يديه في
جيبه، يتطلع اليها بهدوء.
اجابت موروينا بارتباك بدون ان تتجراً على النظر في
وجهه:

«نعم، لكنني لم اجده».

«ربما استطيع مساعدتك».

قال دومنيك وهو ما يزال يحدق فيها بوجه عابس.
ثم سار الى الخزانة واخرج مجموعة مفاتيح من جيبه، وفتح درجاً
سفلياً، وسحب منه ملفاً اخضر اللون، قدمه اليها قائلاً ونبرة غضب
في صوته:

«تفضلي هذا ما تبحثين عنه».

ارادت موروينا ان توضح الامر له، وتبرر سلوكها هذا.
فقالت:

«اظن انك اسأت تفسير سلوكي هذا».

اجابها ساخراً:

«بالعكس، يا ليدي موروينا. الحقيقة انني كنت اتوقعه منذ
مجيئك الى تريفينون».

خطت خطوتين الى الامام، واخذت الملف من يده ودسته في
حقبيتها بيد مرتجفة.

«حسناً، اظن ان من الأفضل ان تتركي هذا المكان، قبل ان
يحدث ما لا تحمد عقباه».

قال دومنيك غاضباً وهو يوشر لها بالخروج. وبينما هو يتكلم جاء
صوت انفتاح احد الابواب مختلطاً بوقع اقدام آتية وأناس يتحدثون.
فاستدار باتجاه الممر وسد الباب بجسده وكأنه يحاول اخفاء وجود

مورويانا عن الآخرين.

سمعت مورويانا صوت مارك في الممر وهو يسأل:
«هل شاهدت مورويانا يا دوم؟ اخبرني السكرتيرة انها هنا، لكنها اختفت».

«انها هنا في الغرفة».

دخل مارك الى الغرفة، وهتف حالما شاهدها:

«مرحباً مورويانا، هل تأخرت عليك».

«ابدأ. هل نغادر؟ لا استطيع ان اتأخر كثيراً».

«بالتأكيد، هيا».

قال مارك، وهو يمد يده اليها. ثم سأها:

«كيف وجدت بورت فينور؟ انها شبه مهجورة في هذا الوقت من

السنة».

قبل ان يجيبه مورويانا، دخلت الى المكتب امرأة اخرى. كانت

قصيرة ونحيفة، ترتدي ثوباً وردياً من الصوف، وقد سرحت شعرها

الى الخلف بعناية. لم تشاهدها مورويانا من قبل، لكنها حدست انها

باربارة انجلس، وهي الاخرى عرفتها. اذ انها حالما وقع نظرها

عليها، ضيقت ما بين عينيها الزرقاوين، وتأملتها طويلاً وقد احمرت

وجتيتها. ثم قالت:

«صديقة جديدة لمارك؟».

وقبل ان يتكلم مارك اجابها دومنيك:

«كلا، يا باربارة. دعيني اعرفكما ببعضكما. هذه مورويانا

كيرسلاك، صديقة نيكولا الشابة، والتي ستقضي معنا بعض

الوقت. مورويانا، هذه باربارة انجلس، سكرتيرة الشركة، وصديقة

مقربة جداً».

كانت يد باربارة باردة وهي تصافح مورويانا قائلة:

«اوه يا عزيزتي، يا للسعادة! ادخل هذه الغرفة فاجد لاورا

كيرسلاك واقفة فيها بعد كل هذه السنين. انها مفاجأة بصراحة.

الشعر... والبنية».

ثم استدارت الى الرجلين وقالت وهي تبسم:

«بالله عليكم لا تقفا هكذا مرتبكين. لقد حدث ما حدث قبل

سنين. والتفتت الى مورويانا قائلة بحماس:

«اعرف والدتك جيداً، لكننا انقطعنا عن بعضنا طوال هذه

الاعوام. كيف هي الآن؟».

«ماتت وانا في الثامنة من عمري. اما والدي وشقيقي فقد قتلوا في

حادث سيارة في بداية هذا العام».

«وطبيعي جداً، انك جئت الى ترفينون باحثة عن ملجأ».

قالت ذلك وكان صوتها دافئاً وشفوقاً. ثم ضحكت ضحكة

خفيفة وهي تقول:

«يا للساء، كيف يعيد التاريخ نفسه!».

احست مورويانا بحرارة شديدة في الغرفة، وان ياقة قميصها

الضيقة تكاد تنحرقها. التفتت الى مارك وقالت بنبرة متوسلة:

«مارك، لا بد ان اعود الى البيت».

قالت باربارة بلطف:

«حسناً، مستحدث طويلاً هذا المساء. هل اخبرك نيكولا بأننا

سنجري مباراتنا الاسبوعية في الشطرنج؟ لم يخبرك؟ يبدو انه يريد ان

يفاجئك بذلك. وسنرتب قريباً ايضاً حفلة صغيرة للترحيب بعودة

ابنة لاورا الى البيت».

ردت مورويانا:

«سيكون ذلك جميلاً، وسأكون شاكرة».

استعادت موروينا هدوء اعصابها حين اضحت خارج المكتب. وشعرت بحيويتها وهي تسير الى جانب مارك الذي تأبط ذراعها. وخلفها كانت باربارا انجلس تتحدث مع دومنيك وتضحك، خمنت موروينا انها موضوع حديثهما بدون شك. قالت لمارك:

«قابلت اليوم صديقة لك، تدعى بيدي، تملك مخزناً للفخاريات في سانت ايناء».

«اوه، حقاً؟ كيف هي الآن؟».

«كانت تبدو سعيدة».

اجابته موروينا، ثم سكنت للحظات، وقالت ثانية:

«هل سببت لك ارباكاً في عملك؟ اخبروني في الاستعلامات انك كنت في اجتماع».

«ابداً، كان مجرد اجتماع روتيني».

فتح لها باب السيارة فصعدت، ثم صعد هو الآخر. التفتت موروينا الى الورا، فلمحت دومنيك واقفاً امام المكتب والى جانبه باربارا، لوح لها بيده مودعاً، فردت عليه باشارة مائلة. ثم استوت في جلستها.

«اهدأي، يكفي انفعالاً».

قال لها نيكولا في البيت. لكن موروينا انفجرت فيه صائحة:

«اهدأ... كيف؟ لم ار في حياتي اذلالاً مثل هذا. لقد ضبطني في مكتبه وانا ابحث في الملفات. ولم يعطيني اية فرصة حتى اوضح له الأمر».

قال نيكولا وهو يحاول تهدئتها:

«صدقيني ان الأمر ليس بهذه الأهمية. سأشرحه له بنفسه، لا تهتمي».

«كيف لا اهتم؟ اما كان من الأفضل لو طلبت من غيري القيام بهذا العمل، ام انك اردت ان تحشرن في هذا الموقف المخرج فقط؟».

«كلا يا صغيرتي، ليس الأمر كذلك، انا احتاج الى هذا الملف. ولم اسأل دومنيك لأنني كنت اشك انه سينفذ طلبي».

«كان بإمكانك تكليف شخص آخر...».

«اعذريني يا صغيرتي. دعيني اوضح لك الأمر. لقد كلفتك لانك ستكونين الحجر الذي سألقيه في بركة ماء راكدة، حتى احركها». حدثت موروينا في وجهه طويلاً، بدون ان تفهم ما الذي يعنيه:

«ماذا تعني بكلامك هذا؟».

«دومنيك سيخبر باربارا انجلس بالأمر. وباربارا ستثير هذا الموضوع علناً بدون شك. وانذاك نستطيع كشف الحقائق». اتسعت عينا موروينا من الدهشة، وهي تحديق في وجهه باستغراب. وقالت:

«اتعني ان باربارا هي التي سرقت التصاميم وباعتها؟».

اسند نيكولا ظهره الى الكرسي، والقى برأسه الى الورا واغمض عينيه، وقد بدا متعباً. ثم قال بصوت اشبه بالهمس:

«هذا ما اعتقده».

«ولماذا لم تكاشفها بالأمر طيلة هذه السنين؟».

«لا برهان لدي لكي اثبت ذلك».

«ولكن لماذا اقدمت باربارا على تلك الفعلة؟ ثم لماذا اهتمت امي

بذلك؟»

«لأنها كانت تغار منها. كانت لاورا محبوبة أكثر منها. بالإضافة إلى ذلك كانت باربارة تحب والدك، وتأمل الزواج منه».

اخفت موروينا وجهها بين راحتيها، وهتفت:

«اوه يا الهي. هكذا اذن...»

«نعم، هكذا...»

«وكيف عرفت ان باربارة هي التي فعلت ذلك؟»

«من أشياء كثيرة. منها انها كانت متلهفة بشكل غير طبيعي على التقرب منا ومساعدتنا. وقد مولتنا بالمال لادامة المشروع حين ساءت امورنا. بالإضافة الى ما قاله الرجل لي في معرض الزوارق، ان اكون أكثر حذراً في اختيار صديقاتي».

«ولماذا تركت امي المسكينة تتحمل تبعات جريمة، هي بريئة منها؟»

«لم يكن الأمر بالسهولة التي تتصورينها. تعرفين انني عطفت حتى على باربارة وفهمت جيداً وضعها النفسي آنذاك والذي دفعها الى فعل ما فعلت. هناك نقطة اخرى اريد توضيحها لك، بعد تلك الحادثة اصبحنا انا وباربارة قريبين جداً من بعضنا، وكنت آمل انه مع تزايد اقترابنا، ستعترف بما فعلت بفعل عاطفتها نحوي. لكن مع الأسف طال انتظاري حتى الآن».

«وهل تبادلها العاطفة يا نيكولا؟»

«كيف تنمو العاطفة في جو تنعدم فيه الثقة؟»

تجمعت الدموع في مآقي موروينا، وقالت بحسرة:

«يا لها من خسارة حياة، بل حياتين!»

ابتسم نيكولا وهو يتأمل وجه موروينا الحزين:

«لكنني لم امت بعد، ولا باربارة ايضاً. مازلنا مستمرين في لعبتنا. والحقيقة انها تلعب بذكاء، لكنني واثق انها ستخسر هذه المرة».

ثم رفع الملف من فوق المكتب وفتحته قائلاً وهو يقره من وجه موروينا:

«اما في الوقت الحاضر، فسأجدد علاقتي بحيي الآخر».

تأملت موروينا الرسوم والارقام على صفحة الملف. ثم سألت:

«زورق آخر؟»

اوماً نيكولا بالايجاب قائلاً:

«نعم. زورق آخر. لكن هذا سيعبر المحيطات، وسيحدث الناس عنه كما يتحدثون عن البواخر العظيمة. وسأسميه (ليدي موروينا)».

«اوه!»

هتفت موروينا وهي تضغط براحتيها على خديها الملتهبتين. ثم قالت:

«ولكن هكذا دعاني دومنيك حين وجدني في مكتبه. ليدي موروينا!»

اطلق نيكولا ضحكة قصيرة وقال:

«هل دعاك هكذا؟ ان ابن اخي ليس غيباً. اذن لقد عرف انني سأسترد هذا الملف».

«ولماذا سميته موروينا؟ اعرف ان هذا اسم شائع هنا، ولكن...»

«هكذا اخترت هذا الاسم. ربما لاشجع نفسي على العمل».

«لا غرابة في ذلك اطلاقاً».

قال دومنيك وهو واقف في باب الغرفة . تراجعت موروينا فجأة
واسندت ظهرها الى الكرسي ، كرد فعل على ظهوره المفاجيء . تقدم
دومنيك منها ورفع حاجبيه مندهشاً وهو ينظر الى عمه وقال :
« ما هذا يا نيكولا ؟ قصة اخرى من قصص العائلة ؟ »
« بل انها قصة الماضي والحاضر والمستقبل كما آمل . »
نظر دومنيك الى الملف وقال ساخراً :
« تكلف اناساً غرباء لانجاز مهماتك . لماذا كل هذا
الحذر ؟ » .

اجابه نيكولا وهو يهز كتفيه :
« لدي اسبابي بدون شك . »
« حسناً ، لا اريد ان اسألك عن هذه الاسباب ، ولكنك حشرت
الآنسة كيرسلاك في موقف محرج ظهر هذا اليوم . »
« انها ساعتي ، وأظن انها ستساعك ايضا مع الأيام . ولكن لماذا
هذه الشكليات ؟ ان اسمها هو موروينا ، ألا تتذكر ذلك ؟ » .
« من حسن الحظ اني لا انسى الاشياء بسهولة . »
قال دومنيك بشيء من السخرية . رفعت موروينا وجهها اليه .
وقالت بثقة :

« يبدو ان اسمي ينكأ جرحاً قديماً لديك يا سيد دومنيك . »
« كلا يا آنسة كيرسلاك . لا تحاولي تفسير الأمور بهذا الشكل . »
استمرا في عملهما بصمت في ما تبقى من عصر ذلك اليوم . لم
تستطع موروينا ان تستشف ما يحول في ذهن نيكولا وهو منكب على
رسومه وارقامه . بينما جلست هي الى مكتبها تدون بعض الملاحظات
التي طلبها منها نيكولا وذهنها منشغل في امور اخرى . تفكر فيما اذا
كان دومنيك يحاول استغلال وضعها في ترفينون للحصول على متعة

عابرة منها . واحست بالآلم يعتصر قلبها حين تذكرت غاي ومعاملته
لها . تعرف انها جميلة وذات جاذبية ، لذا ليس من المستبعد ان ما يطح
اليه دومنيك هو علاقة عابرة سرعان ما تنتهي حين ينتهي هو من نيل
ما يريد . واعترفت بالآلم لنفسها بأنها تحبه ، غير ان هذا يجب ان يبقى
سراً في هذا البيت المليء بالاسرار . ثم قالت لنفسها بحسرة : اهذا ما
كان ينبغي ؟ ان اقع في حب من يعاملني بكل هذه القسوة
والاذلال ؟

انتهت من افكارها على صوت نيكولا ، يقول بصوت مفاجيء :
« سأتناول العشاء هذا اليوم في الطابق الأسفل . »
ابتسمت وقالت :

« يبدو انك قررت العودة الى الحياة الطبيعية . »
« نعم ، يكفي جهوداً . علي الآن ان اهتم بتدبير اموري . »
« ولكنك بدأت بذلك فعلاً حين ارسلتي الى حوض الزوارق . »
« اجل كانت تلك البداية ، والآن اذهبي الى انيز ، وبشرها
بالأمر . اظن انها ذكرت شيئاً عن بط مشوي . فلنحتفل اليوم بمناسبة
عودتي الى الحياة الطبيعية . »
كان صوته طبيعياً وهادئاً ، غير انها لم تنخدع به . فسألته :
« ما الذي تخطط له يا نيكولا ؟ » .
« مستعرفين ذلك قريباً . »

اجابها ثم انكب على اوراقه ثانية . غير انه بعد لحظات من
الصمت عاد وقال لها :

« والآن ، يا عزيزتي ، اذهبي وهيئي نفسك للمساء . »
استقبلت انيز النبأ وفسرته بأن هناك حفلة ستقام في
المساء .

كانت جالسة في المطبخ تقشر التفاح. وقالت:

«سأطلب من زاك، ان ينظف الأواني الفضية».

«لا حاجة لزاك، انا سأساعدك في ذلك».

«كلا، اكون شاكرة لو نظفت لي التفاح فقط».

دفعت انيز بسلة التفاح والسكين إليها. ثم قالت لها:

«لا تنسي ان تغيري هذا البنطال القديم. البسي شيئاً آخر».

«ستحضر كارين الى الحفلة حتماً. وهي عادة تلبس ثياباً أنيقة».

«عندي فستان طويل سألبسه».

«لماذا تدعين ضيفتنا تتعب نفسها بالعمل يا انيز؟».

كان ذلك دومنيك واقفاً في باب المطبخ. ثم تقدم ووقف امامها،

وقال لمورينا:

«اريد التحدث معك على انفراد يا آنسة كيرسلاك».

نهضت مورينا وتبعته الى مكتبه. وهناك سألته:

«تفضل، ماذا تريد؟».

«هل تعرفين لماذا يريد عمي ان يتناول عشاءه الليلة في الطابق

الأرضي؟».

هزت مورينا رأسها وقالت:

«هل هناك سبب معين لذلك؟».

«حلق في وجهها مقطباً جيئه ومضيقاً ما بين عينيه:

«كل ما يتفوه به نيكولا، او يفعله هذه الأيام، انما لغاية معينة».

«ماذا تقصد؟».

«انه يهين نفسه لفتح الجروح القديمة، وانت السبب في ذلك».

«اظن انك تغالي في تقدير دوري في الأمور، يا سيد دومنيك».

«كلا، انك بريئة من كونك عشيقة لرجل عجوز، ولكنك مازلت

تعملين لتحقيق الهدف الذي خططت له».

ارادت ان تقول له، بانه مخطيء في ظنونه. وانها لم تعد تهتم من

ناحياتها بأي غاية او هدف. ولم تعد تهتمها سمعة امها. ان لاورا

نفسها لم تعط لهذا الأمر اهمية كبيرة. كانت غايتها سعادة نيكولا

وراحته. وربما قدرت انها اذا ما ابتعدت عن طريقه، فانه وباربارة

سيصلان الى نقطة التقاء.

«لا اعتقد انك فهمت الأمر على وجهه الصحيح».

قالت مورينا، لكنه قاطعها قبل ان تكمل حديثها:

«فهمت جيداً. تريدان اثارة موضوع قديم وطرحه على بساط

البحث بشكل علني، بدون ان تهتمي بالذي سيتضرر من عملك

هذا».

كارين انجلست؟ سألت نفسها. اهي من يقلق بشأنها؟ قالت له:

«لا استطيع فعل شيء».

اجاب بضحكة قصيرة وساخرة:

«تظهرين الوداعة والبراءة، وتخفين قسوة بالغة، يا ليدي

مورينا».

«لا تنادني كذلك من فضلك».

«ولم لا، اذا كانت هي الحقيقة؟».

سار ووقف قربها حتى تلامس جسدهما، فشعرت مورينا ان

عظامها تذوب وتتحول الى سائل ملتهب. ونظر اليها قلئلاً بصوت

حنون ملؤه التحذير:

«مورينا، دعي هذا الأمر جانباً الآن».

«انني آسفة».

«ستأسفين على ذلك حتماً».

استدارت وهي تعض شفتها حتى احست بطعم الدم على
لسانها، سارت بهدوء الى خارج الغرفة واغلقت الباب. ثم صعدت
السلام راكضة الى غرفتها. ألقت بنفسها على الفراش، وبكت حتى
احست ان الدموع قد جفت في عينيها.

٧- الغضب البارد

حين تأملت موروينا نفسها في المرآة، لم يكن هناك أي أثر في
وجهها بسبب عاصفة البكاء القوية. صحيح، انها كانت شاحبة
بعض الشيء، وأن عينيها بدتا اكثر اتساعاً عن المألوف، غير ان
ذلك ربما كان بسبب الماكياج الذي استعملته. جمعت شعرها في عقدة
كبيرة فوق رأسها، تاركة بعض الخصلات الناعمة تتدلى فوق أذنيها
وعلى مؤخرة رقبتها. وارتدت ثوباً اسود اللون مطرزاً بخطوط
ذهبية، ولبست حول رقبتها الناعمة قلادة ذهبية رقيقة. كانت انيقة
وجميلة حقاً.

أطلت من فوق السلام على الصالة، فرأت ان قاعة الجلوس
كانت مفتوحة الباب، وسمعت اصوات الضيوف وضحكاتهم. اذن

فقد وصل ضيوف المساء. نزلت السلام ببطء وهي تفكر بأنها لا تدري أي نوع من الحقد ستواجه به.

كانوا جميعاً مجتمعين هناك، واذا وقفت في الباب أدركت انها آخر من وصل. دخلت الى القاعة بهدوء وقالت بصوت ناعم وجذاب:

«مساء الخير».

خيم الصمت على القاعة التي كانت تضج بالحديث والضحكات. لكن سرعان ما هتف نيكولا سعيداً وهو يتسم: «يا صغيرتي العزيزة، تفضلي. كم تبدين فاتنة! هيا، ليقدم لها أحد كأساً من العصير».

كان مارك من جلب العصير لها، وهمس وهو يقدم لها الكأس:

«يا الهي كم أنت جميلة!».

ضحكت بنعومة وهي تخفي نظراتها عنه. ثم قادها الى المقعد حيث كانت تجلس باربارة انجلس وكارين، وامرأة اخرى قدموها لها وتدعى ليدي فان تود. ثم سرعان ما استؤنف الحديث الذي انقطع بدخولها.

كانوا يتحدثون عن العطلات. وأخذت كارين تتحدث بحماس عن شواطئ كاليفورنيا حيث مكثت هناك عاماً، وتقارنها بالشواطئ الانكليزية. احست موروينا بالملل من الحديث، فنظرت الى نيكولا الذي كان جالساً قرب النار، وهو يتأمل الحاضرين بنظرات مبهمه.

لم تكن موروينا وحدها صامته، كانت باربارة ايضا قد توقفت عن الكلام وبدأت ساهمة بعض الشيء. تأملتها موروينا واحست بنوع

من الشفقة نحوها. كانت أمها لاورا كير سلاك محبوبة ومدلة من الجميع، وكان هذا يعوضها عما خسرت وعما لاقت من أهل تريفينون. اما هذه المرأة المتوترة الجالسة الى جانبها، فهي لم تكسب اي شيء من فعلتها الحقودة تلك. والسعادة التي كانت تتوقعها نتيجة تلك النكابة بلاورا كيرسلاك، تلاشت قبل ان تلمحها.

أرادت ان تقبض على ذراعها فجأة، وان تهتف بها، انهم جميعاً يعرفون ما فعلت، ويسكتون عنك لمجرد النفاق. وارادت ان تضع حداً لهذا الموضوع والى الأبد. ولكن ليس لها هذا الحق، فهي طارئة على هذه الأجواء. ونيكولا وحده له الحق في اثاره الموضوع.

ارتشفت شيئاً من عصيرها، واحست بألم خفيف بدأ ينبض في صدغها. ارادت ان تضغط باصبعيها على موضع الألم، لكنها توقفت عن فعل ذلك حين لمحت دومنيك يحدق فيها.

كان العشاء لذيذاً. وقد اضيئت قاعة الطعام بالشموع، مما زاد من لمعان مائدة الطعام، والأواني الفضية ذات الطراز القديم. تظاهرت موزوينا بالأكل، بينما الحقيقة انها لم تستطع ان تأكل شيئاً، فقد احست بأن بلعومها قد ضاق فجأة بدون ان تجد تفسيراً لذلك.

اما نيكولا فقد كان يحاول دائماً جرّ باربارة الى الحديث، وكسر حاجز الصمت الذي اقامته حول نفسها. كان يحدثها عن الذكريات، ويسألها عن احداث مضت، ويدت هي شيئاً فشيئاً تتخلل عن صمتها وجهودها. وتعود اليها ابتسامتها وحيويتها.

عادوا الى قاعة الجلوس بعد ان انتهوا من العشاء. وجلبت انيز القهوة، فنهضت كارين وتناولت الصينية منها، وبدأت هي تدبرها في الأكواب وتوزعها، وكأنها هي المضيفة. ثم اخذت كوب دومنيك

اليه، وهمست له شيئاً وهي تناوله الكوب، فضحكا معاً. وعادت أخيراً وأخذت كوبها وجلست. بينما ظل كوب موروينا فارغاً في الصينية. فأدركت موروينا أن ذلك كان تعمداً منها. غير أنها سكنت، والحقيقة أنها كانت غير راغبة في شرب القهوة في أية حال بسبب صداعها، لكنها بذلت جهدها للسيطرة على نفسها من ترك القاعة فوراً، إذ كانت واثقة من أن كارين تريد ذلك، وأنها تحاول اشعار موروينا بأنها غريبة وسط افراد ينتمون لعائلة واحدة. «كارين، أظن أنك نسيت واحداً. لم تقدمي قهوة لموروينا».

قال نيكولا بصوت خشن.
التفت الجميع اليها، فأحست موروينا بالدم يتصاعد الى وجهها ويالخجل يغمرها. وقالت بصوت مرتعش:
«لا بأس. حقاً انني لا أرغب فيها».
«أوه، اني آسفة».
هتفت كارين بصوت مسرف في العاطفة، ثم اردفت:
«يا لها من غلطة فظيعة! شاهدت كوباً زائداً وظننت ان انيز قد اخطأت في العدد».

ثم اطلقت ضحكة خفيفة وأضافت:
«لقد حسبت ان المجتمعين هنا هم افراد العائلة فقط».
تكهرب الجو فجأة بعد كلماتها. ولم يبق هنالك شك بأنها قصدت اهانة موروينا. اما موروينا فشعرت بأنها صفتت على وجهها علانية.

سبق دومنيك الآخرين في النهوض. اتجه نحو الصينية وملا الكوب بالقهوة وقدمه الى موروينا. شكرته بكلمات غير واضحة،

واختلطت نظرة الى وجهه. كان هادئاً لا اثر للغضب فيه. لم يكن راضياً عن سلوك كارين بدون شك، غير انه لم يبد أي احتجاج على كلماتها الجارحة. ربما كانت تلك الكلمات تعبر عن احساسه هو تجاهها. اما كلمات نيكولا فقد كانت غاضبة بحيث اربكت موروينا في مكانها، حين قال:

«ما هذا الكلام يا عزيزتي كارين. يجب ان تعلمي ان موروينا واحدة من هذه العائلة مثل أي واحد في هذه الغرفة».
ادركت كارين بأنها ارتكبت خطأ شنيعاً، غير أنها لم تعرف كيف تتجاوزه. قالت وهي تبسط يدها امامها:

«بالطبع. لقد اسأت التعبير. فهمت ان الأنسة كيرسلاك تعمل هنا كسكرتيرة، ولم يخطر ببالي ابداً...».
«اذن افهمي جيداً الآن...».

قال نيكولا وقد غطت وجهه مسحة غضب، ولم يكن ابداً فظاً كالآن. ثم أضاف قائلاً بالانفعال نفسه:
«لم اعتبرها في يوم من الأيام سكرتيرة لي. انها اعز من ابنتي. انها عزيزة مثلي كانت امها هنا من قبل».
«نيكولا!».

هتفت موروينا به، وهي تعصر وجهها الملتهب براحتها. لكنه استمر قائلاً بلهجته القاسية:
«لا أريد ان يبقى احد في شك، حول مدى تقديري وحيي لهذه الصغيرة».

ثم نهض فجأة مستنداً الى عصاه. هرع دومنيك اليه ومسكه من ذراعه قائلاً له بلهجة محذرة:
«اهدا».

لكن نيكولا حرر ذراعه منه بعنف وهو يصيح:

«دعني، انني بخير. تعالي هنا يا مورينا، اعطني ذراعك. عندي مفاجأة لك. لم اهيثها لهذه اللحظة، لكن الأحداث تباغتني».

وبينما هما يتجهان الى الباب. قالت له بصوت هامس:

«نيكولا، ما هذا الذي تفعله؟».

«لا تقلقي، أنا بخير. سيكون الأمر حسناً، صدقيني».

كان يرتعش من الغضب، اما هي فكانت مرتعبة من أن تصيبه نوبة قلبية ثانية نتيجة انفعاله. وتبعها الآخرون بذهول، وكان وجه باربارة شاحباً مثل وجوه الموتى.

في نهاية السلم اتجهوا الى اليمين، وكان نيكولا يلهث من التعب، لكنه واصل سيره بحزم حتى وصل الى باب في نهاية الممر. وتركها.

وأخذ يبحث في جيبه، قال دومنيك بصوت بارد:

«نيكولا، لا داعي لكل هذه المأساة اكراماً لي».

لكن عمه لم يجبه. اخرج من جيبه حزمة مفاتيح، وأدخل واحداً منها في قفل الباب وفتحه. لم ترد هي ان تدخل الغرفة، لكنه سحبها معه. كانت غرفة والدتها، التي ظلت مغلقة منذ ان رحلت هي من هنا. لم تعرف ماذا خبأ نيكولا لها من مفاجأة، لكنه ظل ممسكاً بذراعها، وهي تحدق فيما حولها.

كانت غرفة نوم جميلة ونظيفة، ذات ستائر طويلة خضراء على النوافذ، وفراش أبيض، اما الأثاث فكان من الخشب الثمين ومن الطراز القديم. وكان هنالك حطب في المدفأة. ومناشف مرتبة في زاوية. كل شيء ينبئ ان من كان يسكن هذه الغرفة في سفر، وانه يتوقع وصوله في أية لحظة، لأنها ظلت مغلقة اكثر من عشرين عاماً.

«ستكون هذه غرفتك يا صغيرتي».

قال نيكولا بحدة وكأنه يتحدى أي واحد يعترض. كانت مورينا ترتعش، وحين التفتت الى دومنيك لمحت على وجهه غضباً بارداً ارتعبت منه. انتابها شعور بأن ترمي نفسها عليه وتقول له: «اني آسفة، آسفة على كل ما حدث». لكنها ضبطت نفسها، وأدركت انه لن يصدقها، فهو يظن ان كل هذا قد تم التخطيط له مسبقاً بينها وبين نيكولا.

كانت تتأمل الفراش الكبير المزدوج، وتفكر ان هذا الفراش لزوجين، التفتت الى نيكولا لتسأله، لكنه ادرك ما يجول في ذهنها، فقال:

«نعم، ان والدتك رتب هذه الغرفة. وكنت أمل ان تكون غرفتنا».

قالت باربارة انجلس، التي كانت تقف جامدة كالصخر، شاحبة الوجه، وقد امتلأت عينها بالدموع:

«غرفة لاورا. يا الهي، يجب ان تذكروا الشرف الذي حصلتم عليه، بالسماح لكم الدخول اليها بعد كل هذه السنين. ضريح لاورا».

اطلقت ضحكة ساخرة وتركت الغرفة، وتبعها كارين. ثم خرج مارك هو الآخر بإشارة من دومنيك. بقي ثلاثتهم يواجهون بعضهم. قال دومنيك متوتراً:

«أتمنى ان تكون هذه القسوة التي لا مبرر لها قد اراحتك».

هز نيكولا رأسه بضجر ورد:

«ما كان قصدي ان يحدث هذا. كانت خططي مختلفة عن هذا تماماً. لقد فقدت اعصابي، هذا كل ما في الأمر. ولكن الأمر سيكون

على ما يرام».

«أأنت من يقول هذا؟ كيف تتحدث عن المستقبل، إذا كنت ما تزال متعلقاً بالماضي بهذا الشكل؟».

قال دومنيك بصوت مزيج من السخرية والغضب:

«كفى بالله عليكما. لترك هذا الموضوع».

قالت موروينا وهي على وشك البكاء.

«لماذا؟ أتفكرين في وقت ومكان مناسبين أكثر من هذا؟».

قال دومنيك وعينه متوهجتان من الغضب. ثم استمر موجهاً كلامه لعمه بنبرة ساخرة:

«يبدو أنك كنت حريصاً على الاعتناء بهذه الغرفة طيلة هذه السنين. انها تبدو نظيفة جداً».

«ولماذا لا؟ كانت انيز تنظفها بأمر مني كل هذه السنين».

وقفت موروينا بينهما، وهي تريد ان تردعهما عن هذا الحديث المحزن. وقالت بتوسل:

«رجاء، يكفي الحديث في هذا الموضوع. انني افضل البقاء في غرفتي. لا أريد هذه الغرفة».

ترك دومنيك الغرفة، بعد ان اغلق الباب وراءه بعنف. وبمالك نيكولا على كرسي صغير بجانبه، وهو منهك تماماً فسألته موروينا بحزن:

«لماذا فعلت كل هذا؟».

«لقد فقدت اعصابي. كان ذلك خطأ. انني آسف».

وضعت موروينا يدها على ركبته قائلة وهي تبسّم من خلال دموعها:

«لا تأسف. ستكون الأمور على ما يرام».

ظلا صامتتين بعض الوقت. كانت موروينا خلاله تحدّق فيه بحنان. وقد بدا لها انه كبر عشرات السنين فجأة. ثم نهض من مقعده قائلاً:

«من الأفضل ان اعود الى الطابق الاسفل لأرى ما حدث. هل ستأتين معي؟».

«كلا، أظن من الأفضل ان أذهب الى غرفتي».

«هذه هي غرفتك. انني أعني ما اقله. ستبقين في هذا الغرفة طيلة وجودك في تريفينون».

«لكني لا استطيع النوم هنا هذه الليلة. ان جميع حاجياتي في الغرفة الأخرى».

«لا بأس. سينقل زاك حاجياتك غداً. لن نحتاجي لشيء هذه الليلة. فهناك بعض ملابس والدتك في الادراج. ثياب النوم».

وبعض ادوات الزينة. تستطيعين استعمالها. انها جميعاً لك».

ثم ترك الغرفة. وظلت موروينا وحدها، وهي تشعر بالبرودة تسري في كيانها. تأملت ما في الغرفة من أشياء وأحست بالدموع تتجمع في عينيها ثانية. وفكرت لماذا لا تهرب من هذا البيت وتنقذ نفسها من كل هذه الآلام والمحن؟ ثم كيف ستواجه كارين بعد اليوم؟ وتمنت ان لا تكون هنا حين يتزوج دومنيك من كارين، فذلك شيء لا يمكن تحمله اطلاقاً.

ثم تركت الغرفة ومشّت على رؤوس اصابعها، حتى وقفت في نهاية السلم، وهي تنصت لما يجري من حديث في الطابق الاسفل.

كانت الأصوات جميعها رجالية، لذا عرفت ان كارين وعمتها قد غادرتا البيت. وقد دهشت لذلك. ثم سارت الى غرفتها. ورغم ان

بقائها في هذه الغرفة انما هو وقتي، فقد شعرت انها في بيتها الحقيقي .
دخلت في الفراش واحست بالدفء، لكن الأفكار بدأت تتزاحم في
رأسها، وجاهدت كي تطردها لكن بدون جدوى .

استيقظت في الصباح متعبة من الأحلام المزعجة التي رأتها في
الليلة الماضية . ولمحت من النافذة ان الصباح مشرق والجو صاف،
والشمس تغمر المكان . فأحبت ان تستمتع بهذا الصباح الجميل
لوحدها، وقبل ان تدب الحركة في البيت وتبدأ المشاكل ثانية . تركت
فراشها وأخذت حماماً سريعاً، ثم ارتدت ملابسها، ونزلت الى
الطابق الأسفل . اكتشفت ان الباب الرئيسي مفتوح، وهذا يعني انها
ليست وحدها المستيقظة باكراً، فهناك من سبقها . غادرت البيت
وواصلت سيرها باتجاه البحر . ولم تكن قد ابتعدت طويلاً حين
سمعت صوت محرك سيارة خلفها، استدارت فشاهدت سيارة
دومنيك واقفة امام البيت، ثم نزل هو، قررت مورينا ان تتجاهله،
وان لا تتحدث معه، فواصلت سيرها، لكنها سمعته يناديها:
«مورينا . انتظري لحظة» .

لم تشأ ان تلتقي به، فاستمرت بدون ان تلتفت اليه، لكنها سمعته
قادماً من ورائها، وكانت خطواته سريعة، فانتابها الذعر، فأسرعت
في خطواتها، غير انها ادركت انه هو الآخر يسرع في مشيته . واخيراً
وجدت نفسها تركض، ولكن الى أين؟ ولماذا تهرب؟ انها متواججه
حين تعود الى البيت، فلماذا الهرب منه الآن؟

وابطأت في سيرها الى ان حاذاها، وقال بصوت بارد:
«لا تتظاهري بأنك لم تسمعي وأنا اناديك، ثم لماذا تهربين
مني؟» .

«لقد سمعتك . اما لماذا اهرب منك، فأظن ان السبب واضح» .

«ما اريد هو ان اتحدث اليك» .

«لا اظن ان هناك شيئاً تقوله لي، أحب سماعه» .

اطلق ضحكة قصيرة، ثم قال:

«أوافقك على ذلك، لكن هناك أشياء يجب ان تقال، وفي مقدمتها
أني مدين لك بكلمة اعتذار . لقد كنت فظاً في الليلة الماضية .
والحقيقة اني فقدت اعصابي» .

«في أية حال، ليس للأمر أهمية» .

«بل انه مهم بالنسبة الي» .

قال هذا ومدّ يده الى ذقنها محاولاً رفع وجهها اليه . لكن مورينا
تراجعت خطوة الى الوراء مبتعدة عنه . ثم أضاف قائلاً:

«انك غفرت لنيكولا انفعاله . فلماذا يا تري لا تعامليني مثله؟» .

«بالطبع لا اعاملك مثله . فأنا احبه جداً» .

«ولا تحبيني، أليس كذلك يا مورينا؟» .

«هل حقاً تتوقع مني ذلك، وأنت تعامليني بهذا الاسلوب منذ
وصولي في اول يوم؟» .

ثم استدارت وواصلت سيرها تجاه البحر . ورفعت رأسها تجاه
الرياح، فأحست ببرودتها تخفف من حرارة وجهها . وظل السؤال
يعاودها باستمرار: «تري ماذا يريد مني؟ لماذا يلاحقني باستمرار؟ اذا
كان يكرهني فلماذا لا يتركني وشأني؟» .

تجولت طويلاً فوق الصخور العالية، وهي تتأمل البحر وتكسر
الامواج على صخور الساحل، والزبد الابيض المتطاير منها . والطيور
التي تحوم على الشاطئ، والاشجار وأكواخ عمال المناجم المهجورة،
وغمنت لو انها جلبت معها عدة الرسم، اذن لكانت رسمت هذه

المنظر البديعة، ولاحتفظت بها كذكريات هذه الأيام المليئة بالأحزان. ثم عادت ادراجها الى البيت.
«ها انت اخيراً».

قالت انيز حين رأتها، وكانت قلقة بسبب تأخرها، ثم اضافت:

«لقد قلق السيد نيكولا عليك. أين كنت كل هذا الوقت؟».

«ذهبت في نزهة، ويبدو انني تأخرت».

«هيا الآن، الفطور جاهز. وسيصعد ذاك الى غرفتك لنقل حاجياتك الى الغرفة الجديدة. انني سعيدة لأن السيد نيكولا قد فتحها بعد كل هذه السنين».

«انها غرفة جميلة، لكنها كبيرة عليّ، افضل البقاء في غرفتي».
«كلا، انها افضل من الغرفة السابقة، ثم ربما لن تبقي وحدك فيها. ربما ستجدين من يشاركك فيها».

قالت انيز وذهبت الى المطبخ. تاركة موروينا في حيرة. وفكرت ما الذي تقصده من كلامها هذا. هل رأتها حين كانت واقفة مع دومنيك هذا الصباح. وهل تظن انها على علاقة؟

دفعت موروينا باب قاعة الطعام بعد تردد، ودخلت. كان مارك وحده جالساً هناك.

«مرحباً موروينا. كيف أنت هذا الصباح؟».

«كالعادة، وأنت؟».

«أظن أن ما حدث الليلة الماضية، لم يكن له أي مبرر».

«من الأفضل ان تسأل نيكولا. هو الذي أثار كل تلك الضجة».

«صحيح. رأيك متأثرة أكثر من الآخرين. لقد أسفت على

باربارة. كانت صدمة كبيرة لها، واهانة شديدة. كارين أخذتها بالسيارة، لم تكن قادرة على القيادة. ثم انني لم اشاهدها وهي تبكي مثل البارحة».

«انني آسفة».

«لا احد يلومك، ما ذنبك أنت؟».

قال مارك، ثم اضاف وهو يتسم.

«ما رأيك ان نتعشى معاً في الخارج؟».

«معك؟».

«أهو أمر غريب يستوجب كل هذه الدهشة؟ لقد خابرت بيدي مساء امس ودعتك للعشاء، ولم اشأ ان أناديك على الهاتف لأنك كنت في غرفتك بعد الذي حدث، فطلبت مني ان ابلغك، ثم دعني ايضاً».

«اعتقد ان هذا ليس السبب الوحيد».

«ربما. اذا وافقت على المجيء، من الأفضل ان لا تذكر ذلك لأحد».

«وماذا نفعل؟ هل نسرق انفسنا من الآخرين، وتنسلل من البيت تحت جناح الظلام؟».

«كلا، سأقول لهم اني آخذك الى بورت فينور».

«تقصد بالآخرين اخاك. أليس كذلك؟ حسناً هذا لا يهمني. اذا كنت مهتماً بأن لا تجرح مشاعره، فدعني وشأني لأذهب وحدي الى سانت اينا هذا المساء».

صب مارك المزيد من القهوة لنفسه، وهو لا يرفع عينيه اليها، ثم قال:

«الأمر ليس بهذه البساطة. أنت تعرفين انني وييدي كنا على

علاقة، سابقاً.

«نعم، اعرف ذلك هي التي اخبرتني».

«لا ادري ماذا قالت لك بعد. لا اريد ان اعرف الحقيقة».

«لم يرض اخوك عن تلك العلاقة، وطلب انهاءها».

«نعم. ربما تستغربين ضعفي، وكيف رضخت لطلبه. الحقيقة

انني فعلت ذلك ظاهرياً، وحاولت ان اقنع دومنيك مع الأيام، لكنني

حين ذهبت لرؤية بيدي بعد انقطاع، رفضت الاصغاء وطردتني».

«ولماذا لم تشرح الأمر لها منذ البداية؟».

«حدث كل شيء بشكل مفاجيء. والواقع ان شخصاً ما أثار

دومنيك ضدنا».

«كارين انجلس ربما».

«نعم. لا أدري ماذا قالت له، لكنها نجحت في تسميم مشاعره

تجاه بيدي».

حين انتهت موروينا من فطورها، صعدت لكي تجمع حاجياتها

حتى ينقلها زاك الى غرفتها الجديدة. جمعت كل حاجياتها في

حققيتها، وذهبت الى الغرفة الأخرى، ومكثت هناك تنتظر، حتى

جلب زاك الحققيتين، مع رزمة كبيرة.

«آسفة لازعاجك يا سيد زاك. ولكن ما هذه الرزمة؟».

«انها رسومك التي جلبتها معك. لقد تم وضع اطارات لها في

بنزاس. سأثبتها على الجدران هنا».

فكت موروينا خيوط الرزمة بأصابع مرتعشة، ثم فتحتها. كانت

رسوم والدتها وقد احيط كل منها باطار ثمين من الطراز القديم. لقد

كانت تتساءل دائماً: ترى ماذا فعل نيكولا بالرسوم؟ ربما تركها جانباً

ولا يود رؤيتها لأنها تسبب بعض الشجن له. لكن ها هو اذن قد

بعثها الى بنزاس لتأطيرها. احست بالدموع تتجمع في مآقيها.

وكانت راغبة في البكاء بشدة. علق زاك الرسوم على جدار مواجه

للنوافذ، بارشاد منها، حتى يقع الضوء عليها وتراها واضحة اول ما

تفتح عينيها في الصباح. حدقت فيها طويلاً حين ظلت وحدها في

الغرفة، وفكرت، ترى ماذا كانت ستقول والدتها لو عرفت ان

رسومها قد انتهت الى غرفتها في تريفينون؟ ثم ماذا تريد هي اكثر من

هذا؟ اما كان قصدها من المجيء الى هنا هو هذا؟ ان يحافظ اهل

تريفينون على الشيء الوحيد الذي تملكه؟ ها هي أمنيته قد تحققت.

احست بالباب وقد انفتح بهدوء، بينما ما تزال هي تتأمل الرسوم،

وان شخصاً ما دخل الى الغرفة. ظنت انه نيكولا، جاء ليرى مدى

تأثير هديته عليها. فقالت بدون ان تلتفت اليه:

«نيكولا انك عطوف عليّ جداً. لا ادري كيف اجازيك».

لكن حين التفتت اليه، ماتت الكلمات بين شفيتها وشحب

لونها. كان الواقف هو دومنيك. تقدم خطوة اخرى منها، وقال

بانزعاج:

«ما هذا، لماذا تغير لونك هكذا، هل ازعجتك بدخولي؟».

«كلا، بالعكس. انني حزينة لأنني رأيت ثياب امي وخواتمها.

والآن هذه الرسوم وقد علقت في غرفتها. احس وكأنها معي الآن.

بالطبع لا اتوقع منك ان تفهم مشاعري».

«كلا، لا يهمني ذلك. جئت لأتحدث معك في موضوع ما، لكن

يبدو ان الوقت غير مناسب الآن».

«ليس هناك ما نتحدث به. دعني لوحدي بسلام أرجوك».

قالت موروينا متوسلة وقد اغمضت عينيها، ووضعت وجهها بين

راحتيها. لم يقل دومنيك اي شيء، بينما ظلت هي في وضعها

للحظات . وحين فتحت عينيها وجدت نفسها وحيدة في الغرفة ،
فهتفت بصوت مختنق :

«اوه دومنيك، يا حبيبي» .
لكن لم يكن هناك احد لسمعها .

٨- لن افكر بك

علقت موروينا آخر كرة زجاجية ملونة في مكانها، ثم نزلت السلم الصغير، وتأملت شجرة عيد الميلاد طويلا، وكانت قد بذلت جهدا كبيرا حتى اقنعتهم لجلب هذه الشجرة، ووضعتها في هذه الزاوية .

«شجرة عيد الميلاد؟ وفي بيت جميع من فيه غير متزوجين؟» .
قال مارك مندهشاً .

«ولماذا لا؟ ربما ستجلب الحب والخير الى البيت» .

اجابته موروينا التي انفقت في خلال الاسابيع القليلة الماضية، الكثير من الوقت مع مارك، حتى ان دومنيك سألها مرة غاضباً فيما اذا كانت متأكدة مما تفعل . فضحكت واحست بسعادة كبيرة من غيرته

عليها. وفي مناسبة اخرى قال لها ايضاً:

«يبدو ان مارك مصمم على ان يجرب حظه معك».

فضحكت، وطمأنته بأن لا احد يقدر ان يفوز بقلبها غيره.

ولم ترغب ان تجربه بان العلاقة بين مارك ويبيدي قد عادت الى مجراها الطبيعي. منذ تلك الأمسية التي ذهبت معه الى سانت اينا لتناول العشاء في بيتها.

القت نظرة أخيرة على شجرتها، وتهيأت لترك قاعة الجلوس، بعد ان تضيء اضاءة القاعة كلها. ربما ستجلب نجمة الأمل التي علقتها على الشجرة، الحظ لمارك ويبيدي على الأقل. اما نيكولا وباربارة فيبدو انه ليس هناك من أمل كبير في تحقق سعادتهما معاً. اذ لم تقترب باربارة من تريفينون منذ تلك الليلة التي اقيمت فيها حفلة العشاء. واستتجت موروينا من ملاحظات ابداءها نيكولا ان باربارة لم تعد تعمل في حوض الزوارق، متعلقة بالمرض.

اما كارين فلم تنقطع عن الظهور، بالرغم مما حدث. وبدا واضحاً، انها قررت التغاضي عن حقيقة انها هي التي كانت السبب في كل ما حدث. وتصرفت بروحية توحى بأنها قد ساحت الجميع على سلوكهم في تلك الليلة، وكان ما حدث كان بسبب الآخرين لا بسببها، وهذا ما جعل نيكولا ينسحب الى غرفته ويغلق الباب عليه كلياً ظهرت كارين في تريفينون.

حين أمسكت بقبضة الباب حتى تفتحه، خفق قلبها بعنف. لقد سمعت صوت كارين في الصالة الخارجية. ترددت للحظة، هل تخرج ام تمكث حيث هي، اذ ربما ستذهب كارين بدون ان يطول بقاءها. لكنها في الأخير دفعت الباب وخرجت.

كانت كارين هناك مع دومنيك، يقفان معاً، وندمت موروينا على

خروجها من القاعة في هذه اللحظة غير المناسبة.

التفت دومنيك اليها، فالتقت نظراتهما في لمحة خاطفة.

وقال:

«أهلاً موروينا، سأطلب من انيز ان تحضر لنا شيئاً من القهوة.

هل تشاركتينا؟».

«كلا، شكراً. انني أرتب قاعة الجلوس، وحالما أنتهي منها،

سأبتعد عن طريقكما».

«لم اكن اعرف انك تقفين في طريقي».

قال دومنيك وذهب تجاه المطبخ.

«ماذا كنت تفعلين هناك؟».

سألت كارين وهي تنظر الى علب الكرات الملونة والاشربة التي

في يد موروينا.

«زينات عيد الميلاد. تعرفين، بعد غد هو عيد الميلاد».

«اعرف ذلك بالطبع».

قالت كارين وهي تبسم، ثم سارت الى قاعة الجلوس وهتفت:

«اوه، يا الهي. فكرة من كانت هذه الزينة الجميلة؟».

«فكرتي. الا تحبين اشجار عيد الميلاد؟».

«احب اشجار عيد الميلاد في اماكنها. في الساحات العامة، في

الفنادق مثلاً. اما هنا، في هذا البيت، وفي هذه الغرفة، فاطن انها

ليست مناسبة. واعتقد ان انيز لن تشكرك على هذا».

«انيز سعيدة جداً بهذه الزينة».

«هكذا اذن».

قالت كارين مبتسمة، ثم اضافت:

«لا يغرنك رضا انيز، فهي ليست اكثر من خادمة في هذا البيت،

مجرد عاملة مثلك».

«لو كنت في محلك، لكنت أكثر حذراً، ولما سمحت لأحد ان يسمعي وأنا اتحدث بهذه اللهجة».

«لا تنسي ان وضعينا مختلفان تماماً. فهذا البيت لن يكون بيتك النهائي، ولن تكوني هنا سيدة في يوم من الأيام».

«وهل ستكونين انت كذلك؟».

«بالطبع».

قالت كارين بنيرة سعيدة وواثقة. ثم اردفت بعد لحظة سكوت: «ودومنيك اقتنع بأنني سأقوم ببعض التغييرات في البيت، وبالطبع فان زوجين في بداية زواجهما لا يرغبان في ان يشاركهما عدد كبير من الناس حياتهما. وانيز بالطبع مخلصاً لنيكولا، فلا اظن انها ستبقى هنا حين يذهب هو».

قالت موروينا وهي تهز رأسها غير مصدقة:

«ستطردن نيكولا من بيته؟ لن تقدرى على ارتكاب مثل هذا الفعل. انه رجل عاجز ومريض».

اجابتها كارين ببرود وهي تلوي شفتيها:

«لقد تحسنت صحته تماماً. ربما سيعيش سنوات طويلة بعد. لا اريد ان ابدأ حياتي الزوجية في ظله. انه يتصرف وكأنه ما يزال هو السيد هنا، وهذا وضع لست مستعدة لقبوله».

«وهل يوافقك دومنيك على هذا؟».

«دومنيك يحبني. ولا ييخل علي بأي شيء اريده».

اجابت وعلى وجهها ابتسامة رضا، ثم اضافت وهي تنظر اليها بكبرياء وغرور:

«انصحك ان تجدي لنفسك مأوى آخر، يا آنسة كيرسلاك،

فالخشي ان تكون ايامك معدودة في هذا البيت. صدقيني».

«اعرف ذلك جيداً، وقد رتبتم اموري ان اترك هذا البيت في بداية العام الجديد».

«والى اين تذهبين؟ تبقيين تدورين حول نيكولا، حتى يعطف عليك ويأخذك معه الى بيته الجديد. اليس كذلك؟».

«كلا. سأذهب الى لندن واجدلي عملاً حتى الربيع، وبعده أمل ان اذهب الى كاركاسون لأخذ دروساً خاصة في الرسم».

«دروس خاصة؟».

«نعم. مع لينو كريستي».

«يا الهي انك تحلقين عالياً مع احلامك. ترى من اين مستجدين النقود التي تكفي مصاريف هذه الدراسة؟ من رصيدك في البنك، وانت مجرد فتاة عاملة؟ ام انك تتوقعين ان يمدك نيكولا بالمصاريف؟ الا تعرفين انه وضع كل ما عنده في مشروع حوض الزوارق، ولم يعد يملك قرشاً واحداً؟ اخشى ألا تجدي احداً في هذه العائلة يشترك بقرش واحد».

ارادت موروينا ان تضربها على وجهها بالعلب التي في يدها، لكنها ضيقت نفسها وقالت لها بهدوء وبرود اعصاب:

«من فضلك لا تقلقي بشأنى يا آنسة كارين. الم تسمعي بالمثل القائل، لا تفكر لها مدبراً اعرف كيف سأرتب اموري».

ثم تركتها موروينا واقفة، وعبرت الصالة وصعدت السلام بدون ان تلتفت الى الوراء. كان قلبها يخفق بشدة، وشعرت بالألم يسري في جسدها، تساءلت ترى هل يعرف دومنيك ما تخططه خطيئته، وزوجة المستقبل؟ ام انه مغرم بها للدرجة انه لا يعير اهتماماً لأي شيء سواها؟ كان باب غرفة نيكولا مفتوحاً حين عبرت من امامه، فرفع

رأسه عن مكتبه وناداه قائلًا:

«أهي كارين التي جاءت؟»

«نعم، وهي باقية لتشرب القهوة مع دومنيك».

«أذن أنا باق هنا. هيا أغلق الباب وتعال، أريد أن أريك شيئًا».

ثم أخرج ورقة قائلًا برضا وهو يتسم:

«هذه الرسالة وصلت صباح هذا اليوم، بينما كنت انت خارج البيت خذها وأقرأها».

كانت رسالة من إحدى الشركات تعلن موافقتها على تصاميم الزورق (ليدي مورينا)، وأن المسؤولين فيها يرحبون بفكرة إنتاج الزورق، ويعلنون أنهم يستدعونه للاجتماع بهم في أول العام الجديد. لوضع المشروع موضع التنفيذ. هتفت مورينا فرحة بعد الانتهاء من قراءتها:

«أوه، هذه انباء عظيمة حقًا».

فأجابها بهدوء:

«نعم. لكن ما يزال الأمر يحتاج الى عمل شاق يا صغيرتي. وهذه هي البداية فقط».

«لو كنت مكانك يا نيكولا لوقعت العقد منذ الآن».

هز نيكولا رأسه، ثم اسند ظهره الى الكرسي مسترخيًا، وقال:

«سأترك هذا الأمر لدومنيك، هو الذي سيقوم بالمفاوضات مع الشركة، اما انا فسأستفرغ للتصاميم وبناء المشروع».

أخذ الرسالة منها ووضعها في درج مكتبه. ثم اضاف قائلًا:

«أشعر انني مُنحت عمراً جديداً».

كانت مورينا ساهمة تماماً، وكان واضحاً على وجهها انها في عالم آخر، وليست مع نيكولا. فحدّق فيها طويلاً ثم سأها:

«ما الذي حدث يا مورينا؟».

«لا شيء». انني سعيدة لهذا النبأ».

«كلا، لا بدّ ان هناك شيئاً ما يقلّك. اهو مارك؟».

«أبدأ... لا شيء».

«انني واثق ان هناك ما يقلّك. قولي ما هو».

مورينا احنت رأسها، واخذت تحدّق في يديها، وقالت:

«لقد حان الوقت لاذهب من هنا يا نيكولا. مشروعك قد تحقّق الآن، واظن انك لن تستمر في كتابة تاريخ العائلة بعد. لقد وافقت على البقاء هنا حتى اعاونك، ولم تعد تحتاج الى ذلك بعد الآن. اريد ان ابتعد من هنا وان اعثر على حياتي الخاصة».

ظل نيكولا صامتاً لعدة دقائق، ثم قال:

«ظننت انك سعيدة هنا يا عزيزتي».

حدت مورينا الله، لأن نيكولا كان يظن ذلك، وانه لم يظن الى حقيقة العذاب الذي تتحمّله في هذا البيت. وقالت:

«انني سعيدة بدون شك. ولكنني لا اقدر على البقاء هنا الى الأبد».

«كنت اظن انك ستبقين معي ما دمت انا في حاجة اليك. او على الأقل لتري الزورق».

(ليدي مورينا) وقد اكتمل بناؤه».

«ارجوك يا نيكولا لا اقدر...».

سادت فترة صمت اخرى، كان كل منهما خلاها غارقاً في افكاره. تكلم بعدها نيكولا:

«لقد هجرتنا باربارة ايضاً...»
«اظن أنها ستعود هي حين ابتعد انا من هنا، وتأخذ الأمور مجراها الطبيعي»
«كلا، لن تعود الأمور الى مجراها ثانية. ولا اريدها ان تعود»

ابتسمت موروينا قائلة:
«يبدو انك تفتقدها يا نيكولا»
قال بصوت ضعيف وبتردد:
«ليس الأمر هكذا يا صغيرتي. ولكن لنرَ هل ستحضر الى عشاء عيد الميلاد»
«عشاء عيد الميلاد؟»

«لقد اصبح هذا تقليداً لدينا. انها تحضر معنا العشاء في مساء كل عيد ميلاد، منذ عشرين عاماً، وكارين معها»
«ربما لن تحضر هذه المرة، بسببي»
«لا اعرف في الحقيقة»

كان صوته ضعيفاً ومتعباً. وقد خفت منه الحيوية التي كانت فيه حين تحدث عن مشروع الزوارق. فادركت موروينا انه يشعر بثقل الوحدة. فقد كان وحيداً قبل ان تأتي هي الى هنا، وسيبقى كذلك حين تذهب. وفكرت انه يجب تحذيره مما تخططه كارين بشأنه قبل فوات الأوان.

في طريقها الى غرفتها، التقت بمارك. فحيّاها قائلاً:
«أنا ذاهب الى العشاء مع بيدي. هل ترغبين في مصاحبتي؟»
«ارغب في الواقع، لكن لدي الكثير من الاشغال لانجزها قبل العيد، اذهب انت، لكن كن حذراً حتى لا يعرف دومنيك»

ارتسمت على وجهه امارات الحزن والضجر، وقال منفعلًا:
«اوه، لقد سئمت من مراقبته الدائمة لي، وكأنني صبي صغير، بينما هو غارق في غرامياته»
«وكيف عرفت؟»
«من سلوكه في الفترة الاخيرة. ومن الخاتم بالطبع»
«خاتم؟»

«نعم، خاتم الزواج الذي يعود لوالدتي. انه واحد من الاشياء العزيزة التي بقيت منها، لقد أخذه الى صائغ في بنزاس لتنظيفه وتصغير حجمه. لذا يبدو ان هناك خبراً مهماً سيعلن عنه مساء عيد الميلاد. وربما سيقنعون باربارة بالمجيء ايضاً، ما دام هناك اعلان خطوبة»

«نعم. يبدو انه سيكون احتفالاً عائلياً»
«قالت موروينا بصوت اقرب الى الهمس، وبنبرة حزينة»
«ربما لن يكون ذلك هو الشيء الوحيد»
قال مارك مبتسماً، ثم غمزها وذهب.

لم يمر العشاء في ذلك المساء سعيداً، بالرغم من ان كارين تظاهرت بانها لطيفة وطبيعية. حتى انها وافقت نيكولا على رأيه، حين ابدى اعجابه لترتيب موروينا لشجرة عيد الميلاد. اما دومنيك فقد تأمل الشجرة بنظرة ساخرة بدون ان يقول شيئاً. كما انه لم يعلق بشيء حين اعلن مارك في نهاية العشاء، انه سيأخذ موروينا بسيارته في جولة فقال له نيكولا:

«كن حذراً في قيادتك، فالطرق مغطاة بالجليد»
«بالطبع سأكون كذلك. ولماذا المجازفة، خاصة ولدي الآن ما اعيش من اجله»

خيم صمت عميق على الجالسين، واصطبغ وجه مورويينا بلون احمر. وهي تنهض من مكانها. لقد اعتقد الجميع ان مارك يعنيه بكلامه هذا. اما تعابير وجه كارين فكانت مزيجاً من الدهشة والعداء، وبالرغم من ان وجه دومنيك لم يفصح عن شيء، إلا انها لمحت غضباً بارداً فيه حين اختطفت منه نظرة سريعة.

وقالت لمارك غاضبة في السيارة:
«ما الذي دفعك أن تنفوه بهذا الكلام امامهم؟ سيظنون انك تقصدني».

«وسيكشفون خطأ ظنونهم قريباً».
«لكنك تعتقد الأمور علي هنا. سيفكر دومنيك انني...».
«سيفكر ماذا يا عزيزتي؟ انتم جميعاً تعيرون أهمية كبيرة لرأي دومنيك، لست ادري لماذا؟ خذي الأمور ببساطة حتى مساء العيد».
«وما الذي سيحدث حينئذ؟».

قال مارك وعلى وجهه ابتسامة عريضة:
«انتظري وسترين».
ولم ترغب ان تلح عليه في معرفة الأمر، فغيرت الموضوع حتى وصلا الى سانت اينا.

قال مارك ليبيدي في بيتها، وهو ماسك كفها بين راحتيه:
«حبيبي بيدي، اريد ان تحضري انت وشقيقك، حفلة العشاء في تريفينون مساء عيد الميلاد».
«لا اظن انها فكرة صائبة...».

«بالعكس، انه انسب وقت لأعلن فيه، رغبتنا في الزواج، خاصة من المحتمل ان يعلن دومنيك خطبته في الوقت نفسه».
«لن اذهب الى تريفينون من تلقاء نفسي. اما اذا وافق اخوك على

فكرة زواجنا ودعاني بنفسه الى الحضور، فذاك امر مختلف».
في طريق العودة الى البيت، قال مارك متألماً:

«الحقيقة انني لا افهمها. ظننت انها ستفرح بالأمر».
«من حقها الاعتراض، فهي لا تريد ان تكون متطفلة عليهم. ولا تنس انني أول من جربت معاملة اخيك للضيوف غير المرغوب فيهم. وكانت تجربة غير سعيدة».
«هذا صحيح، لكنه لم يعامل بيدي مثل معاملته لك. لا اذكر انه عامل احداً، كما عاملك به من عداء وقسوة».
«شكراً».

قالت مورويينا، ثم سكنت بعض الوقت، وازافت ثانية:
«عوملت هكذا لانني شاذة عن القاعدة؟».
«لا اعني ذلك لكنني اتعجب احياناً...».
قال ثم سكنت بدون ان يكمل حديثه.
«تتعجب من ماذا».
سألت مورويينا، لكنه تهرب من الجواب، قائلاً:
«لا شيء، انسي هذا الموضوع. انتظنين انه سيكون هناك ثلج في عيد الميلاد؟».
«الجو بارد جداً».

تحدثا كثيراً في امور عادية وهما في طريق العودة، حتى وصلا الى البيت..

قال مارك لها في الصالة، بعد ان اغلق الباب الخارجي:
«اذا اصرت بيدي على عدم حضور حفلة عيد الميلاد، فسأحترم قرارها، سأحدث الى دومنيك غداً واخبره بعزمي على الزواج منها. فاذا اعترض بكلمة واحدة، فسأجمع حاجياتي واترك البيت الى سانت

ايها، حتى اجد مكاناً لي ولبيدي في بورت فينور. بعد الزواج». هذا هو القرار الصائب. لا تؤخر حفلة زواجك كثيراً، لاني سأترك تريفينون بعد العيد مباشرة، ربما في الاسبوع القادم. اريد ان اكون احد الحاضرين في حفل زواجك». «ستكونين حاضرة بدون شك. بل ستكونين احد الشهود مع شقيقها».

قالت موروينا مبتسمة:

«سأكون سعيدة بذلك».

انحنى وطبع قبلة على جبينها قائلاً:

«انا وبيدي نشكرك جداً. لقد ساعدتنا كثيراً».

ارادت ان تقول له بانها لم تفعل شيئاً، سوى انها ازلت سوء التفاهم بينهما، لكنها سمعت حركة من خلفها، فاستدارت لترى ما هي، فلمحت باب مكتب دومينيك مفتوحاً، وهو واقف هناك يتحدث فيهما بوجه عابس.

ترك مارك ذراع موروينا، وقال لدومينيك ضاحكاً:

«مرحباً دومينيك. لم اعرف انك ما زلت مستيقظاً».

«هذا واضح، آسف اذا ما افسدت عليكما لحظة حب جميلة».

اجابه بصوت بارد وغاضب، ثم استدار ودخل مكتبه بعد ان

صفق الباب وراءه بعنف.

«يا للجحيم!».

قال مارك بسخط، ثم سار خطوة قائلاً:

«سأذهب لكي اوضح...».

لكن موروينا امسكت ذراعه قائلة بنبرة متوسلة:

«كلا، انه غاضب الآن. دع هذا الأمر للصباح».

«لماذا يتصرف بهذا الشكل؟ انني لا افهمه بالحقيقة. في اية حال،

لترك الأمر للصباح، ربما سيهدأ ونستطيع ان نفهم منه ما يريد». ظلت موروينا تتقلب في فراشها بدون ان تقدر على النوم. ثم اضاءت المصباح الذي بجانب الفراش. ونظرت الى الساعة. كانت تشير الى الثانية صباحاً، وهي لم تغمض عينيها بعد. ودفنت وجهها في الوسادة وهي تتمنى لو ان لديها الآن حبة منومة، رغم انها لم تستعمل منها سابقاً. ثم فكرت انه ربما سيساعدها قدح من الحليب الساخن في ترخية اعصابها ويعينها على النوم. فنهضت من فراشها وارادت قميصها، ثم فتحت الباب بهدوء وخرجت. كان الجميع مستغرقين في النوم، فنزلت السلام ببطء، والقت نظرة على غرفة دومينيك، فوجدتها مغلقة ولا اثر للحركة فيها. اتجهت الى المطبخ ودفعت بابه فانفتح محدثاً صريراً خفيفاً. وضعت مقداراً من الحليب في اناء، ثم تركته على النار. وحين اصبح ساخناً، ملأت قدحها منه، واستدارت لتترك المطبخ، حين لمحت دومينيك واقفاً في الباب. ارتجفت من المفاجأة، وكادت تفلت قدح الحليب من يدها.

لكنها تماسكت وقالت مبتسمة:

«اوه، انني آسفة اذا كنت ايقظتك من نومك. لم استطع النوم.

اتريد قليلاً من الحليب؟».

«كلا، شكراً».

«الاضواء جميعها مطفأة. فظننت ان الجميع نائمون».

«كنت جالساً في مكتبي، ما زالت هنالك نار في المدفأة، تعالي

واجلسي معي».

استنجت موروينا من طريقة حديثه، انه غاضب. فأجابته وهي

تترك المطبخ:

«شكراً، سأعود الى غرفتي ربما سانام قليلاً».

لكنه امسكها من ذراعها قائلاً:

«قلت انك لا تستطيعين النوم، اذن تعالي واجلسي معي».

رفعت مورينا وجهها اليه وقالت بحدة:

«الا يمكن ان تختار لحظة اكثر مناسبة من هذه، لتتحدث

الي؟».

اطلق ضحكة قصيرة وقال:

«بدون شك انه ليس بالوقت المناسب للحديث، ولكن يبدو لي

انك ستختفين قريباً فجأة، كما جئت فجأة، لذلك افضل ان اقول

لك كل ما عندي قبل ان تختفي».

ثم قادها من ذراعها الى مكتبه وأجلسها على المقعد المواجه

للمدفاة. قائلاً بحدة:

«اجلسي».

وجلس هو في مقعد آخر. وظلا صامتين بعض الوقت حتى

قالت:

«قلت انك تريد ان تتحدث معي...».

«نعم. لم انس ما قلت».

قال ونهض من مكانه، وجلس الى جانبها على المقعد واردف بعد

لحظات من الصمت:

«انت ما زلت طفلة يا مورينا. اجل، خاصة الآن بثوب النوم

هذا، وشعرك المحلول. طفلة حقيقية، لا تدركين مدى الاذى الذي

تسببينه لبعض الناس بتصرفاتك».

«لا افهم ما تقصده».

«لقد اخبرتنا كارين، ان عممتا لن تحضر حفلة العشاء مساء عيد

الميلاد. واعتذرت لأن صحتها لا تسمح لها بالمجيء». الحقيقة انها

كانت على علاقة حب مع نيكولا لسنوات. ولكن انتما الاثنين- انت

ونيكولا- اثرتما فجأة كل تلك الذكريات الحزينة في ذلك المساء،

وسببتهما لها كل ذلك الألم. لماذا بحق السماء؟».

«ليس الأمر كما تفهمه انت. لم يفعل نيكولا غير انه كشف بعض

الحقائق».

«هل انت واثقة من انك تعرفين ما هي الحقيقة؟».

«اعتقد ذلك».

«ان هدفك ليس السعي وراء الحقيقة، بقدر ما هو استغلال

الآخرين».

«اذا كنت تحسب بقائي هنا استغلالاً فاني راحلة قريباً».

«الى كاركاسون، لدراسة الرسم اليس كذلك؟».

«كارين اخبرتك بالأمر. حسناً انه كذلك. أليديك اعتراض؟».

«بالعكس».

قال دومنيك، ثم تأملها طويلاً، واضاف مبتسماً:

«اذا كنت قد فشلت في تحقيق هدفك الأول، فأنني لا اتردد في

مساعدتك لتحقيق هدفك الآخر».

نظرت اليه مستغربة وسألته:

«ماذا تعني؟».

«انك تمجدين التمثيل حقاً، رغم صغر سنك. اتعرفين

فانيسا؟».

«اجل. انها ابنة عمي».

«وصلت منها بطاقة عيد الميلاد لك. وقد فتحتها خطأ، وانا اعتذر

عن ذلك. لم اتوقع ان يرسل احد لك خطاباً الى هنا، انها تسألك في

بطاقتها فيما اذا كنت قد نجحت في اقناع ملك تريفينون الوسيم،

بالزواج منك، او لتمويل دراستك على الاقل في كاركاسون، وبما انك في نصف عمري، وآخر من افكر بالزواج منها، لذا فانا على استعداد لأن اعطيك ما تحتاجينه لدراستك هذه. ولكن على شرط. احسنت موروينا انها لا يمكن ان تذلل اكثر من هذا، وان الموت اهون بكثير مما تلاقيه هنا من اذلال. ابتعدت قليلا عنه وتطلعت الى وجهه بياس شديد؛ وقالت:

«اوه يا دومنيك. اهذا هو ثمن حبي لك؟».

«حب؟ عماذا تتحدثين؟ لا تنسي اني في ضعف عمرك». ادركت موروينا انه لا فائدة من التحدث معه بعد، وان الأمور قد وصلت الى نهايتها. عليها ان تغادر هذا المكان في اقرب وقت ممكن. ان دومنيك يعود لامرأة اخرى. انه ملك كارين. وهي التي ستفوز به في النهاية. فلماذا تذلل نفسها هذا الاذلال؟ ماذا تريد منه، وقد كشف عن مشاعره نحوها منذ اول يوم وصلت؟ نهضت من مكانها لتغادر الغرفة، لكنه امسكها من ذراعها واجلسها ثانية:

«اجلسي، لم انته من حديثي بعد».

«دعني وشأني، ماذا تريد مني؟».

«سأعطيك مصاريف دراستك، بشرط ان تبتعدي من هنا فوراً، وتتركي نيكولا وشأنه. اريد ان يعيش بسلام بقية حياته، ولا يمكن ان يتحقق ذلك بوجودك معه. دعيه وشأنه. هل تعدينني بذلك؟».

«لا اقدر ان اعدك، اتمنى لو استطعت، صدقني...».

«اصدقك؟».

قال ساخراً ثم اضاف:

«في اية حال، لقد انذرتك. وقد اعذر من انذر».

هرعت الى غرفتها وكان الشيطان يلاحقها. واغلقت الباب من الداخل خشية ان يتبعها دومنيك. اخفت وجهها بين راحتيها وهي على فراشها وهمست: علي أن أنقد البقية الباقية من كبريائي قبل فوات الاوان...

هنا . وأنا متأكدة انها ستحضر اذا ما ذهبت انا . وستعود الأمور بينكما كما كانت . انها تستاء من وجودي .

«هذا مجرد تخمين . ما الذي يجعلك تظنين انها ستغير رأيها . تتعلل بالمرض ، ولم ارها يوماً مريضة في حياتها .
«ربما هي مريضة حقاً . ربما اصببت بصدمة» .

«اسمعي يا صغيرتي . انك اعز من ان اتركك تشتردين بدون مأوى . ابقى معنا فترة العيد على الأقل . ويعددها لن اقف في طريقك اذا ما رغبت في الذهاب» .

ابتسمت مورويانا بالرغم من وجهها الشاحب وقالت :
«حسناً يا نيكولا ، سأبقى حتى نهاية عيد الميلاد . ولكن يجب ان تعدني بانك ستركني اذهب بعد ذلك» .

«اعدك بذلك ، اذا كنت تصرين على الذهاب» .
قال نيكولا يائساً وقد غطت وجهه تعابير الحزن والألم . وحين لمحته مورويانا كذلك ، غيرت موضوع الحديث قائلة :
«هل تشعر بتحسن في يدك ، خاصة انك مقبل على عمل جديد؟» .

«افضل مما كنت اتوقع . يبدو ان التمارين التي مارستها طوال تلك الأشهر قد افادتني كثيراً» .

عرفت مورويانا انه يرغب في استئناف عمله ، لذا اعتذرت قائلة ان لديها بعض الهدايا لم تغلف وتشد بالاشرطة ، فانسحبت الى غرفتها . لقد انفقت كل ما تملك من نقود في شراء الهدايا . اشترت زوجاً من الخف المطرز لانيز ، وقفازات قيادة لمارك . . . اما لنيكولا فقد اقتنت له ربطة عنق من الحرير الصافي . ولم تنسَ حتى زاك ، فهيات له كيساً من تبغه المفضل . شخص واحد فقط في البيت كان

٩ - آثار على الثلج

«هل أنت مجنونة؟»
سألها نيكولا محاولاً اقناعها بالعدول عن قرارها . ثم اضاف :
«أتظنين انك قادرة على العثور على عمل او مأوى في هذا الوقت من السنة؟ ان مجرد التفكير في ترك البيت الآن ، هو جنون بحد ذاته» .

«لا بد ان اذهب» .
كررت مورويانا بأصرار ، وقد احنت رأسها ، تحدق في الأرض .
«وعدتني بانك ستقضين عيد الميلاد معي . كيف ستركنيني خاصة ان باربارة قررت عدم حضور العشاء معنا في العيد؟» .
«نعم . سمعت بهذا . وهو احد الاسباب التي تدفعني للابتعاد من

خارج قائمة هداياها. دومنيك. كانت تود لو تشتري له ائمن هدية يمكن اقتناؤها. ان تهب له الشمس والقمر والنجوم. لكنها ادركت ان اية خطوة من جانبها لكي تهدي له شيئاً وفي مثل هذه الظروف، ربما ستسبب الاذى لكليهما، بل ربما تؤدي الى المزيد من العداء بينهما.

اكتفت فقط بالابتهاال الى الله، ان تمر الأيام القليلة القادمة بسلام حتى تترك هذا البيت.

كانت غارقة في افكارها هذه، حين وقعت عينها على رسالة فوق طاولة الزينة. التفتتها. كانت بطاقة فانيسا، وكانت على غلافها عبارة مكتوبة بقلم الرصاص، «فتحت خطأ اعتذر لذلك». اعطت بعض الحق لدومنيك على فتحه لها، حين وجدت العنوان غير دقيق عليها، وقرأت العبارة التي نقلها دومنيك اليها. فلامت فانيسا عليها، اذ انها تعرف جيداً ان بطاقات اعياد الميلاد عادة تكون معرضة للقراءة من قبل الآخرين. فلماذا كتبت مثل هذه العبارة؟ انتهت من افكارها حين سمعت طرقة على بابها. فقالت بتردد: «ادخل».

انفتح الباب واطل رأس مارك. وقال مبتسماً: «انني ذاهب الى بورت فينور. هل تريدان المجيء، ربما تحتاجين شراء شيء...».

«لا احتاج شيئاً».

«تعال في اية حال. اريد التحدث معك».

لم تكن مورويانا راغبة في الذهاب، غير انها وافقت تحت الحاحه. فارتدت سترتها ولقت حول عنقها ربطة صوفية. وتركت البيت. كان مارك ينتظرها في السيارة، وحالما جلست على المقعد،

انطلقت السيارة بسرعة غير اعتيادية. فسألته بدهشة: «ما الذي حدث؟ لماذا هذه السرعة؟».

«لا ادري، انني لا اصدق حقاً».

«ما الذي لا تصدقه؟ ما الذي حدث؟».

«ذهبت الى مكتب دومنيك هذا الصباح. ووجدته وكأنه كان ينتظري. كان في حالة نفسية سيئة، لكن حين اخبرته انني ما زلت احب بيدي، بالرغم من اعتراضه، واننا ستزوج قريباً. وقد دعوتها وشقيقها الى العشاء في مساء عيد الميلاد كافراد العائلة. وافق بدون اية كلمة اعتراض. ان هذا لا يصدق».

«هذا رائع حقاً».

«فعلاً. ولكن هذا ليس كل ما في الأمر. فحين اخبرته ان بيدي رفضت الحضور الى ترفينون بدون دعوة منه بالذات، اخبرني انه سيذهب بنفسه اليها هذا الصباح لدعوتها. اكاد لا اصدق هذا!».

«انني سعيدة من اجلكما».

اذن ستأتي بيدي الى ترفينون مساء غد. سيكون هنالك زوجان من العشاق. مارك وبيدي. دومنيك وكارين. سيتلقون التهاني لخطوبتهم. اما هي ونيكولا فسيجلسان في زاوية مثل غرباء، لن يلتفت اليهما احد. حبذا لو حضرت باربارة، اذن لوجد نيكولا هو الآخر صديقه. انه بحاجة اليها رغم ادعائه غير ذلك. فهو يشعر بثقل الوحدة والشيخوخة، رغم انشغاله بمشاريعه الكثيرة. اما هي فستحمل عذاب الايام القليلة الباقية، ومن ثم ستبتعد من هنا والى الأبد.

كان مارك يتحدث باستمرار عن احلامه ومشاريعه، بينها هي سارحة في افكارها.

«ستغلق الشركة ابوابها بعد ظهر هذا اليوم بمناسبة عطلة عيد الميلاد، وكتقليد سنوي نقيم حفلة صغيرة اليوم في الشركة. سيرحبون بك اذا ما رغبت الاشتراك معنا».

«ومن الذي يحضر؟»

«الجميع طبعاً. دومنيك. نيكولا. العمة باربارة، لكن اظن انها لن تحضر هذه المرة».

«وكارين؟»

«ستحضر بالطبع. وهل تتخلف عن مثل هذه المناسبة؟»

«لها الحق في ان تحضر».

«هل اخبر دومنيك انك ستحضرين ايضاً؟»

«كلا».

اجابت بصوت قاطع. ثم اضافت بعد قليل:

«سأعود الى تريفينون بعد ان انتهي من شراء حاجياتي».

«توفرين حيوبتك الى مساء الغد، اليس كذلك؟»

قال مارك ضاحكاً.

ثم سألها بعد صمت قصير:

«والآن، الى اين تريدان ان اوصلك؟»

اجابته شاكرة ونزلت.

سارت على طول الشارع الرئيسي، وهي تتطلع الى واجهات المخازن التي زينت واضيئت بشكل باذخ. وحين وصلت الى نهايته، خفق قلبها بشدة، اذ لمحت بيت باربارة انجلس، الكبير والمصبوغ بالأبيض حديثاً، وسط حديقة فسيحة، على مكان مرتفع يطل على بورت فينور. وفكرت مورينا وهي تدفع باب الحديقة وتدخل، انه لن تتاح لها فرصة افضل من هذه حتى تواجه باربارة بالحقيقة المخفية،

وتضع حداً نهائياً لهذه القصة الحزينة.

كانت عائلة انجلس ميسورة الحال ومحظوظة دائماً، لذا فان باربارة لم تكن تتوقع ان يفضل السيد روبرت كيرسلاك امرأة اخرى عليها، وهي التي وهبت قلبها له. كانت الصدمة اشد وقعاً عليها، مما كانت على نيكولا، حين خطف السيد روبرت لاورا وهرب بها من تريفينون.

سارت مورينا عبر عمر الحديقة، مرفوعة الرأس وعازمة على رمي الحقيقة في وجه باربارة مهما تكن النتائج، حتى وصلت الى باب الصالة، وضغطت على الجرس. كان يوماً غائماً وداكن اللون، وكانت الغرف مضاءة. سمعت وقع اقدم آتية، فابتهلت الى الله ان لا تكون كارين. انفتح الباب واطلت منه امرأة طويلة القامة في ثوب اخضر.

«اريد رؤية الأنسة انجلس من فضلك».

حدقت المرأة في وجهها بفضول. وقالت:

«انها متوقعة الصحة هذا اليوم، وهي نائمة في غرفتها. لكن

الآنسة كارين موجودة...».

«كلا، افضل التحدث الى الأنسة انجلس مباشرة. احمل لها

رسالة من تريفينون، رسالة شخصية».

قالت المرأة بتردد وارتابك:

«حسناً، ولكن لا ادري اذا... رسالة لها... حسناً

سأخبرها...».

«لا داعي لازعاجها. ارفي الطريق وسأسلم الرسالة لها بنفسي».

انها رسالة عاجلة».

قادت المرأة الى الطابق العلوي. ووقفت امام باب مغلق قائلة:

«هذه غرفة الأنسة انجلس».

دفعت مورينا الباب ودلفت بدون استئذان. كانت الغرفة غارقة في الصمت. وكان الضوء فيها ضعيفاً. وظنت ان المرأة ربما قد اخطأت الغرفة، اذ بدت هذه خالية من احد. لكنها سمعت صوت باربارة فجأة:

«انت. من سمح لك بالدخول».

كانت متمدة على فراشها تحديق فيها بذهول.

«خادمتك، يا آنسة انجلس، لكنها لا تستحق اللوم، فقد وافقت

حين اخبرتها انني احمل لك رسالة».

كانت مورينا هادئة وهي تسير نحو الفراش.

«يا لوقاحتك! كيف تتجراين على الدخول الى غرفتي؟».

قالت بحدة وقد استوت جالسة على فراشها. اتسعت عيناها

دهشة وغضباً وتابعت:

«رسالة من نيكولا؟ لم يجد احداً غيرك ليكون رسوله الي؟».

«انه يجهل وجودي هنا. ربما سيفضب مني قدر ما انت غاضبة اذا

عرف بالأمر. لكنني تحملت هذه المجازفة، حتى ازيل سوء التفاهم

بينكما».

«ليس هناك اي سوء فهم بيني وبينه. كل ما في الأمر اني لا ارغب

في زيارة بيت تعامل فيه ابنة غريمي كضيف شرف. والان اترك بي بي

يا آنسة كيرسلاك، ولا تتدخل فيها لا يعينك».

«اعرف انك تكرهين والدتي، وانا افهم ذلك...».

قالت مورينا وهي تعض على شفتها. ثم سحبت كرسيها الى

جانب الفراش وجلست.

«طلبت منك ترك بي بي حالاً».

قالت باربارة بنبرة هستيرية.

«كلا، لم انت من حديثي بعد. انت تتحدثين عن اخطاء

الآخرين، لكنك تنسين خطاك وهو الأكبر. سرقت تصاميم الزورق

(ليدي لاورا) وبعثتها الى شركة اخرى بثمن بخس. هل كنت حقاً

بحاجة الى المال؟ هل المبلغ الذي حصلت عليه يساوي تلك الجريمة

التي ارتكبتها بحق اهل تريفينون؟».

اصيبت باربارة بالذهول، وانكمشت على نفسها، وبدت وكأنها

تحولت الى كائنة اخرى. ظلت صامتة لفترة طويلة، ثم قالت بصوت

ضعيف:

«كيف عرفت بذلك؟ لاورا اخبرتك، اليس كذلك؟ كنت خائفة

من هذا منذ لحظة مجيئك الى تريفينون. ماذا تريدان؟ نقوداً؟ اخبرني

ابنة اخي، انك تودين دراسة الرسم، ولا تملكين النفقات. هل

تريدان نقوداً؟».

«كلا. كلا. انت حقاً انسانة ساذجة. لم اكن اعرف شيئاً عن

موضوع التصاميم حتى يوم وصولي الى تريفينون. ولم تخبرني والدتي

بشيء، لانها هي نفسها لم تكن تعرف شيئاً عن هذا الموضوع».

«من الذي اخبرك اذن؟».

كانت نبرات باربارة اشبه بالبكاء. ترددت مورينا في الحديث،

لكنها عرفت انها لن تجد فرصة كهذه ثانية. فقالت بهدوء:

«نيكولا هو الذي اخبرني».

للحظات ظنت مورينا ان باربارة اصيبت بالاغواء. وقعت المرأة

على ظهرها شاحبة اللون، وتقلص فمها. لكنها غمغمت اخيراً.

«اذن فهو يعرف».

«انه يعرف منذ البداية».

قالت موروينا وانحنى عليها واخذت يدها الباردة بين راحتيها.
ثم اضافت:

«كان ينتظر طيلة هذه السنوات، ان تذهبي اليه وتعترفي
بخطاك. الا تعتقدين ان الوقت قد حان لأن تذهبي اليه وتعترفي
منه؟»

نهضت باربارة وجلست على فراشها. كانت ما تزال شاحبة، وفي
شفتيها رعشة خفيفة وقالت:

«اعطني قليلاً من الماء من فضلك».

جلبت موروينا الماء لها وقالت:

«ما الذي ستفعلينه؟»

«لا ادري. ربما سأذهب في عطلة طويلة. لا استطيع مواجهة احد
بعد الآن».

«وماذا بشأن نيكولا؟»

قالت باربارة بنبرة حزينة:

«نيكولا؟ كيف استطيع ان اواجهه بعد الآن، ما دام يعرف
بالأمر. كيف التحمل هذا العار؟»

«لكن كلاهما تحملتا الكثير طوال هذه السنين. الا تظنين ان
الوقت قد حان لكي تعودا لبعضكما، في لحظة صدق؟»

«لقد فات الأوان. سأذهب من هنا بعد العيد. هذا كل ما اقدر
عليه».

«كلا، انك مخطئة. لا داعي لذلك. نيكولا يحبك. ويريدك،
قولي له الحقيقة. هذا كل ما يريده».

استلقت باربارة على فراشها ثانية، واغمضت عينيها وقالت:
«اني شاكرة لمجيئك الى هنا. اتركيني الآن لوحدي من فضلك».

نهضت موروينا، وقالت لها:

«لا مبرر لكل هذا اليأس. احضري غداً حفلة العشاء في
تريفينون. وانا اعدك ان كل شيء سيجري على ما يرام. انني اعرف
ذلك يا آنسة انجلس».

«اتركيني الآن من فضلك...»

تأملت موروينا وجه باربارة للحظات، ثم سارت الى خارج
الغرفة. كانت في منتصف الطريق وهي تنزل السلالم، حين انفتح
احد الابواب في الصالة وخرجت كارين. جمدت موروينا في مكانها،
وابتهلت الى الله ان لا تلمحها، لكن كارين رأتها. فاصيبت
بالذهول، وصاحت عالياً:

«ماذا تفعلين هنا؟»

ثم عادت مسرعة الى الغرفة التي خرجت منها وهي تصيح:
«دومنيك!»

خرج دومنيك ووقف يحديق فيها، بدون ان يصدق عينيه. ثم قال
بهدهوء شديد:

«ماذا تفعلين هنا بحق السماء؟»

«جئت لادعو الآنسة انجلس الى حفلة العشاء في تريفينون».

قالت كارين:

«انت جئت لتدعيها الى العشاء؟ يا رب السموات! اليس هذا
استفزازاً لها».

«اوه، لا تقلقي. انها رفضت بالطبع».

قالت موروينا بينما نزلت بقية الدرجات.

«هيا، اخرجي من هنا... حالاً».

سارت كارين الى الباب وفتحته، مؤشرة لها بالخروج.

«انتظري موروينا».

صاح دومنيك.

«كلا، ليس عندي حديث معك».

اجابته بدون ان تلتفت اليه، واستمرت في طريقها.

حين القت نفسها خارج البيت استنشقت الهواء بعمق. وكان الثلج قد بدأ بالسقوط. لكنها لم تعر ذلك اهتماماً. اذ لم تكن تحس ببرودة الجو اطلاقاً. كانت قد فقدت الاحساس بما يدور حولها. في صباح اليوم التالي حملت حقائبها، بعد أن أعدتها، وتركت البيت قاصدة بيدي.

«هل انت جادة فيما تقولين. تعنين انك هربت من البيت؟».

سألت بيدي باستغراب فاجابتها موروينا:

«ليس بالضبط. كنت سأترك البيت في كل حال، ولكني تركته مبكراً عما كنت قد خططت له».

«والى اين ستذهبين؟ بالطبع تستطيعين البقاء معنا المدة التي تشائين. ولكن هل عرفوا انك تركت البيت؟».

«تركت ملاحظة لنيكولا، اخبرته فيها انني قررت العودة الى بريوري. سيفكرون انني ذهبت الى بنزاس لآخذ القطار الى لندن».

«ولكن مارك سيكتشف الأمر. لا يمكن ان نخفيك في الخزانة كلما طرق الباب».

«او، آسفة يا بيدي، على ازعاجي لك».

«بالعكس. انني قلقة عليك يا عزيزتي».

«لم استطع البقاء اكثر في تريفينون. لقد ادركت كم هو غاضب علي».

«من؟ نيكولا؟».

«كلا، بل دومنيك».

«او، هذا هو الأمر اذن».

«نعم يا بيدي. ولكن لا تقولي شيئاً لمارك ارجوك».

هزت بيدي رأسها، وقالت:

«لكن مارك المح لشيء من هذا القبيل».

«او، كلا. ظننت ان احداً لا يعرف بالأمر».

«تعرفين، انه ليس من السهل اخفاء مثل هذا الشيء عمن يعيشون في البيت نفسه معك».

«أعرف ذلك».

«الا تخبريني بقصتك يا موروينا. ام انها حزينة لدرجة لا تريدان الافصاح عنها؟».

«او، انها قصة طويلة يا بيدي».

سردت لها موروينا قصة والدتها في تريفينون، ثم زواجها من ابيها، وموضوع سرقة تصاميم الزورق، الى آخر ما حدث في بيت باربارة. فسألتها بيدي:

«الم تخبري نيكولا بما جرى في بيت باربارة؟».

«كلا، ذهبت الى غرفتي مباشرة، وقيت فيها طيلة المساء متعللة بالصداق. وحزمت حقائبي، ثم تركت ملاحظة لنيكولا. ودخلت الى فراشي. لكنني لم استطع النوم حتى الصباح. وتركت البيت قبل ان يستيقظ احد».

مر النهار ببطء، وبيدي منشغلة بتهيئة الهدايا لمارك واخيها. وكانت موروينا تراقبها ساهمة، وهي جالسة قرب المدفأة، وانشغلت بعض الوقت برسم الأواني الخزفية التي كانت في الصالة. قالت بيدي:

«لا اريد ان اقلقك، ولكن مارك سيحضر خلال خمس دقائق». ولم يمر الا دقائق قليلة، حين سمعت صوت محرك سيارة امام باب البيت. فقفزت من مكانها. وجمعت اوراقها، وهرعت صاعدة السلالم الى الطابق العلوي، وظلت تسترق السمع للقادم الجديد. سمعت لغطاً في الاسفل، لكن الصوت لم يكن صوت مارك. ثم سمعت بيدي تقول:

«قلت بانك اتصلت باهلها في بريوري، يا سيد تريفينون، ولكنهم لا يعرفون شيئاً عنها، أمل ان لا يكون عمك قد اخذه القلق عليها».

«بالطبع انه قلق جداً».

قال دومنيك، ثم اضاف ثانية:

«لقد اخذت حقائبها معها. مارك ذهب الى المحطة، لكنه لم يعثر عليها. بالطبع انت لا تعرفين شيئاً عنها».

«كلا، في الحقيقة. لكن اظن انه لا داعي للقلق بشأنها. لا بد ان لفئة محبوبة مثلها اصدقاء كثيرين تستطيع ان تلجأ اليهم».

لم تنتظر موروينا ان تسمع جواب دومنيك. فانسحبت الى الغرفة، وجلست على الفراش واضعة وجهها بين راحتيها. ثم سمعت صوت انغلاق الباب، ومحرك السيارة وهي تبتعد. لقد ظلت الآن وحدها في البيت، بعد ان اخذ دومنيك معه بيدي الى تريفينون. نهضت من مكانها واعدت القهوة، واستمعت الى الراديو بعض الوقت، لكن صدى صوت دومنيك لم يكن يفارق ذهنها. ثم اخذت تدور في ارجاء الغرفة، بينما كان فكرها يحلق في تريفينون: ترى ماذا يفعلون الآن؟ والى اين وصلت حفلة العشاء؟ هل تبادلوا الهدايا؟ ماذا تبادل دومنيك وكارين من هدايا؟ وهل يقفان الآن بدأ

بيد وهما يتلقيان تهاني الآخرين؟ وماذا عن بيدي ومارك؟ ونيكولا؟ هل اشترك معهم في الحفلة؟ ثم هل فتحوا الآن هداياهم؟ واحست بالآلم حين تذكرت دومنيك، وانها لم تترك له اي شيء. لا هدية ولا بطاقة ولا حتى كلمة. ولكن ماذا يغير هذا من الأمر، اذا كان يكرهها؟ ثم ماذا كان بإمكانها ان تهديه؟ كل الهدايا تبدو نافهة بالنسبة اليه.

كانت مفكرتها على الأرض، فأخذتها وبدأت تقلب صفحاتها. حتى وصلت الى صورة لنفسها، رسمتها وهي واقفة على الساحل. وقالت في نفسها: «لماذا لا ابعث هذه الصورة له؟». كانت افضل هدية تبعتها بالبريد من لندن. ولكن انذاك سيكون العيد قد مر ولن تبقى مناسبة لارسالها. لماذا لا تذهب الى تريفينون وتضع الصورة هذه تحت شجرة عيد الميلاد خلصة. انهم الآن في قاعة الطعام، وسيبقون هناك طويلاً، وبإمكانها ان تدخل قاعة الجلوس وترك الصورة مع الهدايا بدون ان يلمحها احد.

اخذت الصورة من المفكرة وكتبت اسمها عليها. ثم وضعتها في مظروف، كتب عليه اسم دومنيك. ثم طلبت سيارة تاكسي بالهاتف، وظلت تنتظر بعد ان ارتدت حذاءها ولقت ربطة صوفية حول رقبتها ورأسها.

طلبت من سائق التاكسي ان يتوقف على بعد من البيت، خشية ان يسمع احد في الداخل صوت السيارة. ونزلت.

فتحت الباب بهدوء، كان الضوء خفيفاً في الصالة، وكان باب قاعة الطعام مغلقاً، تنبعث منها أصوات مبهمه. فسارت على اطراف اصابعها حتى قاعة الجلوس، وتركت المظروف مع بقية الهدايا تحت شجرة عيد الميلاد. ثم غادرت البيت كما دخلت بهدوء.

في الطريق التفتت الى الوراء والقت نظرة اخيرة على البيت، وفكرت انها ستحن اليه رغم ما قاست فيه من آلام. كما انها ستفتقد الشاطئ وامواج البحر. فقررت ان تذهب وتلقي اخر نظرة على الساحل الاسباني، قبل ان تترك هذه المنطقة الى الأبد. سارت على ضوء المصباح اليدوي، حتى وصلت الى الساحل، وكان الثلج ما يزال يسقط رغم انه خف قليلاً، ووقفت فوق الصخور وتطلعت الى البحر، والى الامواج التي تتكسر على الساحل مخلفة شريطاً ابيض من الزبد، واصغت الى الهدير الذي كان يأتي في فترات منتظمة.

وجهت ضوء البطارية الى الصخور، حتى وجدت مكاناً يمكن النزول منه. فاخذت تنقل خطواتها بحذر خشية الانزلاق والسقوط بسبب الثلج المتجمد. فنزلت عدة خطوات، ثم فجأة زلت قدمها وفقدت توازنها وهوت على الساحل وهي تطلق صرخة قوية. احست بألم شديد في ساقها، وحاولت ان تحركها لكنها شعرت بالاغماء فتيقنت ان كاحلها قد اصاب بالالتواء. ظلت في مكانها فترة وهي ترتجف من الألم والبرد. ثم اخذت تزحف على يديها شيئاً فشيئاً باتجاه الصخور، ساحبة رجلها ببطء. واستندت ظهرها الى الصخور المتجمدة واغمضت عينيها. اذن عليها ان تظل هنا حتى الصباح حتى يأتي من ينقذها ويحملها الى سانت اينا. اما كان جنوناً منها ان تأتي الى هذا المكان الموحش في منتصف الليل؟ اما كان بالامكان ان تأتي في النهار وان تمنع عنها كل هذه الآلام؟

فتحت عينيها، ورأت ان الامواج تقترب منها اكثر في كل مرة، وان مساحة اليابسة التي بينها وبين الماء، تنقلص شيئاً فشيئاً. انذاك عرفت انه المد. وانه سيرتفع حتى يغمرها وربما يحرقها معه الى

البحر.

اطلقت صرخة قوية، لكن صوتها لم يخرج الا ضعيفاً اشبه بالمواء. وشعرت بالمياه وقد غمرت قدميها، فاستسلمت يائسة. ليأخذها المد في منتصف الليل، ويسلمها الى البحر. ولينتهي هذا العذاب الى الأبد. وداعاً يا تريفينون، وداعاً ايها الاحباء. وداعاً يا دومنيك، فقط لو عرفت كم كنت صادقة في حبك. لو كنت عطوفاً معي مرة واحدة، واسمعتني كلمة حب واحدة. كم احببتك يا دومنيك. . . دومنيك. . . دومنيك.

تناهى الى سمعها صوت، صوت دومنيك وهو يهتف باسمها. . . مورويينا. . . مورويينا. فاستسلمت للحلم الجميل وللمد الذي غمرها حتى منتصف جسدها، وفجأة شعرت بذراع قوية تحيط بها وتحملها وتشدها الى صدر حبيب، وصوت دومنيك قائلاً لها بلهفة: «يا حبيبي لقد وجدتك. انت سالمة. اهدأي. اهدأي، ولقي ذراعك حول رقبتي».

وفكرت، انه حلم لذيد، ما اكثر الاحلام. فتركت نفسها بحملها شبح اسود ويذهب بها. حين فتحت عينيها، كان هناك ضوء خفيف في الغرفة، فعرفت انها لم تكن في حلم. ادارت عينيها فيما حولها، كانت نائمة في فراشها وانيز تحديق في وجهها بحنان وهي تقول: «عيد ميلاد سعيد يا عزيزتي. لقد قلقنا عليك!».

وأنا آسفة». اجابتها مورويينا بابتسامة خفيفة. ثم سألت بصوت ضعيف: «ما الذي حدث لي. اعرف انني سقطت من فوق الصخور، وان المد كان يغمرني، ثم فقدت وعيي».

«وماذا كنت تفعلين هناك يا عزيزتي . لماذا تركت بيتك بدون ان تخبري احداً» .

«اووه، لا اريد ان اتذكر شيئاً» .

«ارتاحي الآن . وتناولي شيئاً من هذه الشورية الدافئة . بعد ذلك سأمشط شعرك، لأن السيد دومنيك ينتظر في الصالة» .

«لا اريد رؤية احد اطلاقاً» .

«انه ينتظر هناك منذ الليلة الماضية، لم ينم اطلاقاً، ظل ساهراً بالقرب منك . ثم عليك ان تشكريه، فهو الذي عثر عليك على الشاطئ وحملك الى البيت جثة هامدة» .

«اذن ذلك لم يكن حلماً؟» .

«اي حلم يا عزيزتي، هو الذي خرج باحثاً عنك في الليل» .

«يخيل لي انني رأيت الأنسة انجلس في البيت ايضاً» .

«انها هنا . نامت الليل في غرفتك القديمة» .

قالت انيز ثم اضافت وهي تبسم:

«الأمور رجعت الى مجراها الطبيعي بينها وبين نيكولا . ويبدو انهما

سيحققان حلمهما بعد كل هذه السنين . كذلك مارك وخطيبته الشابة» .

حملت انيز الصينية من امام مورينا، وجلبت مشطاً، واخذت تمشط شعرها رغم احتجاجها:

«اهدأي قليلاً . لا يمكن ان يراك وانت بهذه الحالة» .

تركت انيز الغرفة، بعد ان انتهت من تسريح شعرها، وهي تطلب منها ان تكف عن البكاء . ظلت مورينا جالسة في فراشها، حتى سمعت طرقة خفيفاً على الباب، ورأت الباب يفتح بهدوء ويدخل دومنيك . شعرت بقلبيها يقفز من صدرها .

«لا حاجة لأي كلام يا مورينا . دعيني اجلس ... وانظر اليك حتى اتأكد من انك عدت الى البيت سالمة» .

«ولكن هناك اشياء يجب ان تقال . انني اشكرك، لأنك انقذت حياتي» .

«لا تدرين كم عانيت امس حين اختفيت فجأة من البيت» .

«أسفة، لأنني سببت لك كل ذلك الازعاج» .

اقترب دومنيك منها، وجلس على حافة الفراش، واخذ يدها بين يديه قائلاً:

«سأبقي الجميع هذا المساء لكي يطمئنوا عليك . اما الآن فانك لي فقط . قولي لماذا هربت من البيت؟» .

«لأنني قد اغضبتك، ولم اتحمل ذلك» .

«اتصورين انني غضبت منك، لأنك كنت في بيت باربارة؟ كلا

يا عزيزتي، اعرفي الآن انني لم اكن وحدي في بيت باربارة، كان نيكولا معي ايضاً» .

«نيكولا؟» .

«نعم . لقد طلب مني صباح البارحة، ان آخذه الى باربارة لمصالحتها . وقد شرح لي القصة كلها . فاخذته الى هناك . فاصرت كارين على معرفة سبب مجيئنا . لكن نيكولا كان فقطاً معها جداً، وحين رأته كارين هناك افرغت كل غضبها عليك . كنت غاضباً من اجلك لا عليك . بالاضافة الى انني خشيت انك افسدت على نيكولا خطته» .

شعرت مورينا بالرعدة في جسدها من هذه المفاجآت غير المتوقعة . وقالت:

«انا سعيدة لأن نيكولا ذهب اليها بنفسه» .

«نعم . ووجدها تنتظره بلهفة» .

سكت للحظة ثم اضاف:

«لا ادري ماذا قلت لها انت . لكن يبدو ان حديثك معها كان مهماً جداً . لقد قضيا اكثر من ساعة في الغرفة . وحين نزلا ، كانت سعيدة جداً ومتعلقة بنيكولا» .

ساد الصمت بينهما لبرهة ، حين قطعت مورينا قائلة:

«وما هو شعورك تجاهها يا دومنيك؟ هل تغفر لها ما ارتكبه بحقكم؟ وهل تقبلها زوجة لنيكولا؟» .

«نيكولا سيد نفسه . اما بالنسبة اليها ، فاطن انها نالت عقابها . انها سيتزوجان قريباً ، بعد ان اعلنا خطوبتهما الليلة الماضية» .

قالت مورينا بتردد:

«اطن ان كارين قد فرحت ايضاً بزواج عمتها» .

«بدون شك . وهي تهيب نفسها لرحلة اخرى الى كاليفورنيا» .

شحب لون مورينا . وقالت بصوت اشبه بالهمس:

«ولكن ، كان من المقرر ان تعلن انت وهي خطوبتكما الليلة الماضية ايضاً» .

«اعلن خطوبتي لكارين؟» .

تساءل دومنيك بدهشة . واطاف ساخراً:

«من الذي قال هذا لك؟» .

«هي التي اخبرتني» .

«يبدو انها كانت تتحدث عن احلامها» .

سحبت مورينا يدها بلطف من يده . وهي تحديق في وجهه . فقال

لها بحنان بالغ:

«انني احبك يا مورينا . بل احببتك منذ تلك الليلة التي التقيتك

فيها على الطريق . وكان غضبي لانني اكتشفت من انت . كنا ما نزال نعيش في ذلك الوهم الخاطيء بأن والدتك قد اساءت الينا . اوه مورينا لو تعرفين كم احببتك . لقد جننت حين اختفيت من البيت . شكراً لله لانك وضعت تلك الرسالة تحت شجرة عيد الميلاد ، انذاك عرفت انك ما زلت قريبة من البيت ، فاخذت مصباحي وخرجت فلمحت اثار اقدامك على الثلج ، فتبعتها الى هناك» .

مد يده الى جيبه ، واخرج علبة مجوهرات صغيرة ، فيها حلقة ذهبية ، ووضعها في اصبع مورينا ، ثم رفع يدها وطبع عليها قبلة رقيقة ، قائلاً:

«يا زوجتي الحبيبة!» .

مدت مورينا ذراعيها ، واحاطت بهما عنقه ، وهي تحديق في عينيه بسعادة ، قائلة:

«سنكون معاً الى الأبد...» .